وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الحـاج لخضـر – باتنة –
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة و آدابها

أسماء السور في القرآن الكريم

- مقاربة لسانية سيميائية -

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها
تخصص : لسانيات اللغة العربية

إعداد الطالبة :
سليمة جلال

إشراف الأستاذ الدكتور:
بلقاسم ليبارير

السنة الجامعة
2008 - 2009

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الحاج لخضر – باتنة –
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة و آدابها

أسماء السور في القرآن الكريم
- مقاربة لسانية سيميائية -

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها
تخصص : لسانيات اللغة العربية

إعداد :

سليمة جلال

إشراف الأستاذ الدكتور:

بلقاسم ليبارير

لجنة المناقشة :

د.عبد الكريم بورنان	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخصر –باتنة-	رئيسا
أ.د.بلقاسم ليبـارير	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخصر –باتنة-	مشرفا
د.الجودي مرداسي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخصر –باتنة-	مناقشا
د.عز الدين صحراوي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخصر –باتنة-	مناقشا
د.صلاح الدين زرال	أستاذ محاضر	جامعة فرحات عباس –سطيف –	مناقشا

السنة الجامعة
2008 - 2009

بسم الله الرحمان الرحيم

(ما فرطنا في الكتاب من شيء)

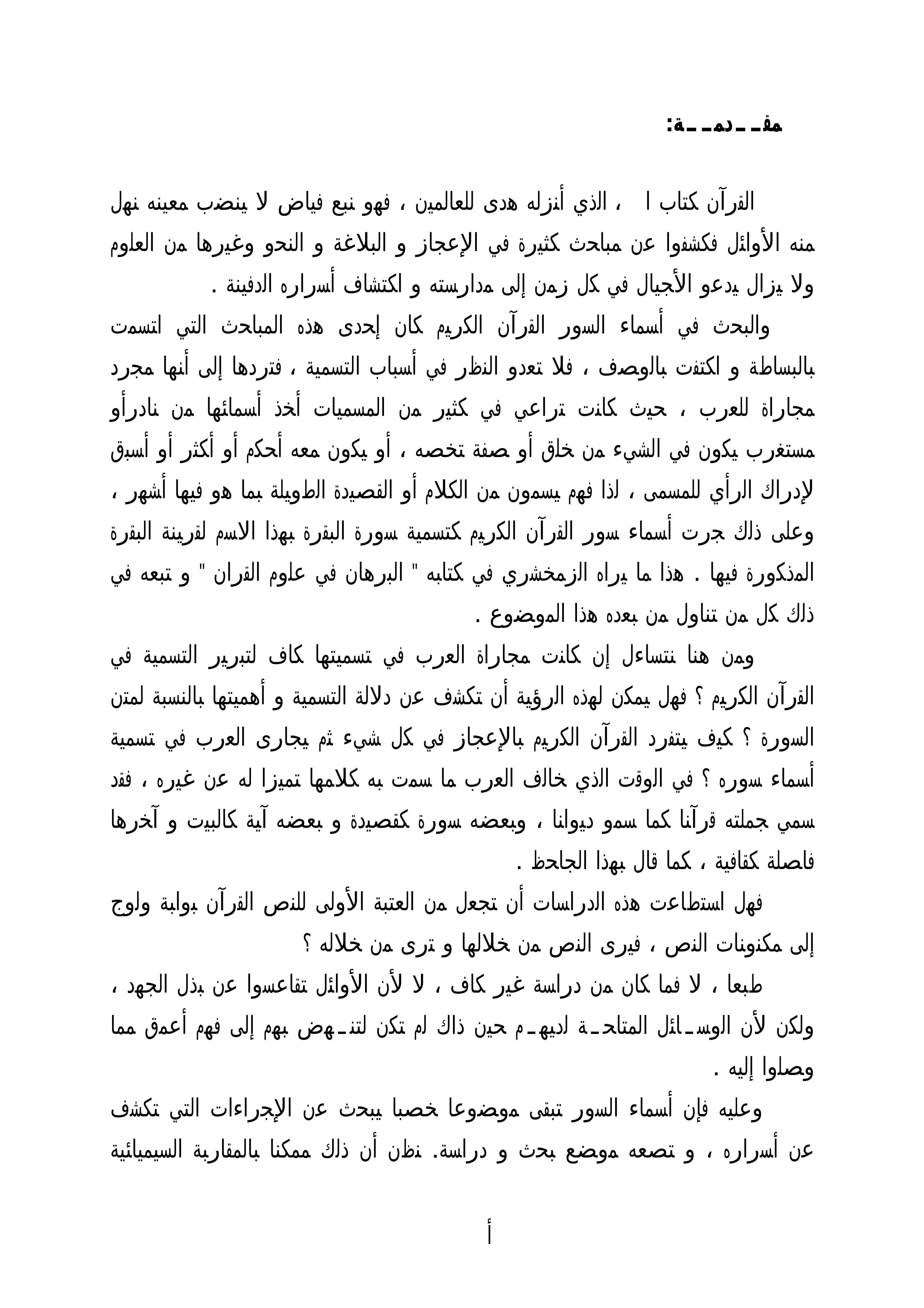
صدق الله العظيم

سورة الأنعام الآية 38

اللهم منك و إليك

فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك

و عظيم سلطانك



مقـ ـدمـ ـة:

القرآن كتاب ا ، الذي أنزله هدى للعالمين ، فهو نبع فياض لا ينضب معينه نهل منه الأوائل فكشفوا عن مباحث كثيرة في الإعجاز و البلاغة و النحو وغيرها من العلوم ولا يزال يدعو الأجيال في كل زمن إلى مدارسته و اكتشاف أسراره الدفينة .

والبحث في أسماء السور القرآن الكريم كان إحدى هذه المباحث التي اتسمت بالبساطة و اكتفت بالوصف ، فلا تعدو النظر في أسباب التسمية ، فتردها إلى أنها مجرد مجاراة للعرب ، حيث كانت تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادرأو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرأي للمسمى ، لذا فهم يسمون من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو فيها أشهر ، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة البقرة المذكورة فيها . هذا ما يراه الزمخشري في كتابه " البرهان في علوم القران " و تبعه في ذلك كل من تناول من بعده هذا الموضوع .

ومن هنا نتساءل إن كانت مجاراة العرب في تسميتها كاف لتبرير التسمية في القرآن الكريم ؟ فهل يمكن لهذه الرؤية أن تكشف عن دلالة التسمية و أهميتها بالنسبة لمتن السورة ؟ كيف يتفرد القرآن الكريم بالإعجاز في كل شيء ثم يجارى العرب في تسمية أسماء سوره ؟ في الوقت الذي خالف العرب ما سمت به كلامها تميزا له عن غيره ، فقد سمي جملته قرآنا كما سمو ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة و بعضه آية كالبيت و آخرها فاصلة كقافية ، كما قال بهذا الجاحظ .

فهل استطاعت هذه الدراسات أن تجعل من العتبة الأولى للنص القرآن بوابة ولوج إلى مكنونات النص ، فيرى النص من خلالها و ترى من خلاله ؟

طبعا ، لا فما كان من دراسة غير كاف ، لا لأن الأوائل تقاعسوا عن بذل الجهد ، ولكن لأن الوسـ ـائل المتاحـ ـة لديهـ ـم حين ذاك لم تكن لتنـ ـهض بهم إلى فهم أعمق مما وصلوا إليه .

وعليه فإن أسماء السور تبقى موضوعا خصبا يبحث عن الإجراءات التي تكشف عن أسراره ، و تصعه موضع بحث و دراسة. نظن أن ذلك ممكنا بالمقاربة السيميائية

التي اختصت بدراسة عتبات النص في مقدمتها العنوان ، بوصفه العلامة الأولى التي يستقبلها المتلقي ، فالعنوان نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية و رمزية تستوقف الباحث للكشف عن دلالاته و محاولة فك شفرته الرامزة .

لذا اهتم البحث السيميائي بدراسة العناوين في النص الأدبي معتمدا على مستويات التحليل(التركيبي و الدلالي و التداولي)، لأن العنوان علامة تشكل مرتكزا دلاليا ينبني عليه فعل التلقي يظهر كنص موازيا لنصه ، له نظامه الدلالي الرامز و بنيته السطحية و مستواه العميق مثل النص تماما ، لما يتضمنه من علاقات إحالية و مقصدية .

ومما تقدم نخلص أن إجراءات سيمياء العنوان يمكنها أن تجيب عن التساؤلات التي سبق طرحها ، فهذه الأخيرة هي التي أسهمت في تبلور فكرة البحث و صياغة إشكاليته في الأسئلة التالية :

هل يمكن تطبيق المقاربة السيميائية في إجراءات سيمياء العنوان على أسماء سور القران الكريم ؟ و ماذا يمكن أن تقدمه هذه المقاربة في إعادة تشكيل فهمنا للنص القرآني انطلاقا من أسماء سوره ؟ و ما هي مميزات و خصائص التسمية في القران الكريم ؟

ومن بين دوافع اختيار هذا الموضوع رغبتنا في المزاوجة بين المناهج الحديثة والدراسات القرآنية لاستغلالها في قراءة النص القرآني بما يمكننا من الإلمام بمختلف جوانبه بشكل يسمح بدراسته من بعض جوانبه ، و بخاصة إذا تعلق الأمر بجانب لم يلق الاهتمام المناسب الذي لقيه النص القرآني على مستوى متنه ، وهو أسماء السور .

و في المقابل نود معرفة ، مدى استجابة هذه المناهج في محاولتها قراءة النص القرآني بما يسهم ولو بشكل يسير في فتح أفق لقراءة تعمق فهمنا لنص القرآني من مختلف جوانبه ، فضلا عن ذلك رغبتنا الخاصة في التقرب بهذا البحث من المولى عز وجل الذي هدانا إليه أملا أن نكون قد أفدنا من دراسته و من البحث فيه .

ونهدف من وراء هذا البحث إلى توجيه الأنظار نحو أسماء السور و ما يمكن أن تحمله من دلالات تساعد على فهم النص القرآني باعتبارها عناوين يمكن دراستها في ظل المقاربة السيميائية تحت إجراءات العنوان . كما نسعى أيضا لمحاولة الوصول إلى معرفة بعض خصائص التسمية في القرآن الكريم ، و التي يمكن أن تصبح هي الأخرى إحدى مباحث الإعجاز في القران الكريم هو " إعجاز التسمية " أو لنقل " إعجاز العنونة " .

و لدراسة هذا الموضوع سرنا وفق خطوات المنهج اللساني السيميائي و ما أتاحته إجراءاته في دراسة عتبات النص بدءا من العنوان شكلا و مضمونا و كل التفاصيل التي بإمكانها أن تصبح علامات قابلة للقراءة ، من خلال المستويات الثلاث(المستوى التركيبي والمستوى الدلالي ، و المستوى التداولي) معتمدين في ذلك على كل ما قدمته اللسانيات و السيمياء في مجال العنونة .

وللإجابة عن أسئلتنا البحثية تضمن البحث ثلاثة فصول ، فصلين للجانب النظري وفصل للجانب التطبيقي ، بدأنا كل فصل بتمهيد و ختمنا بخلاصة .

خصصنا الفصـل الأول للسيمياء و العنونة وذلك للتعـريف بمنهج الـدراسة ، حيث استوقفتنا العلامة في موقعيتها بين اللسانيـات و السيميائـية باعتبار أن الأولى تخـتص بالعلامة اللغوية فقط و الثانية تتضمن العلامات اللغوية و غير اللغوية ، لذا كان أول مبحث في هذا الفصل التعريف بالسيمياء ففي أحضانها ولد الاهتمام بالعنوان كعلامة قصدية دالة و جب الإحاطة بمعرفتها قبل الانتقال إلى دراسة سيمياء العنوان مدار اشتغال بحثنا ، و عليه كان المبحث الثاني حول مفهـوم العـلامة و أقسامها. تبعه المبحث الثالث للتعريف بالاتجاهات السيميائية المعاصـرة لتوسيـع معرفتنا بمفهـوم العلامـة وما ترتب عنه من انفتـاح أفـق البحث السيميائي .

و هنا نتوقف مع السيمياء لنبدأ مع العنونة بتعريف العنوان لغة واصطلاحا ، ثم عرض وظائفه، لنؤسس بذلك المدخل الأساسي لهذا البحث . ولأننا سنطبق سيمياء العنوان على أسماء سور القرآن الكريم و بها عرفت ، بات من الضروري النظر في التسمية و العنونة لمعرفة المساحة المشتركة بينهما ، لنقدم بعد ذلك الإجراءات المنهجية المتبعة في المقاربة اللسانية السيميائية لأسماء سور القرآن الكريم . نخلص في نهاية الفصل إلى إمكانية تطبيق المنهج السيميائي في إجراءات العنوان على مدونتنا .

جعلنا الفصل الثاني لأسماء السور في الدراسات القرآنية ، فقدمنا فيه ما حظيت به المدونة من اهتمام الدارسين قديما و حديثا ، فاستعرضنا بعض المؤلفات و ما تناولته في هذا الموضوع من مباحث ظلت تتداول بنفس محتوياتها. و منها وقفنا على تعريف السورة لغة واصطلاحا و علة تسميتها بأسمائها أما المبحث الثالث و الرابع فحاولنا من خلالهما تجاوز ما يعده البعض عائقا في المقاربة السيميائية لأسماء السور ذلك أن السورة الواحدة

قد تتعدد تسميتها فتنتفي بهذا توقيفية التسمية ، و هذا ما يربك تقبل مصداقية نتائج البحث غير أننا في خلاصة هذا الفصل قد توصلنا إلى إمكانية تطبيق المقاربة السيميائية على أسماء سور القرآن الكريم .

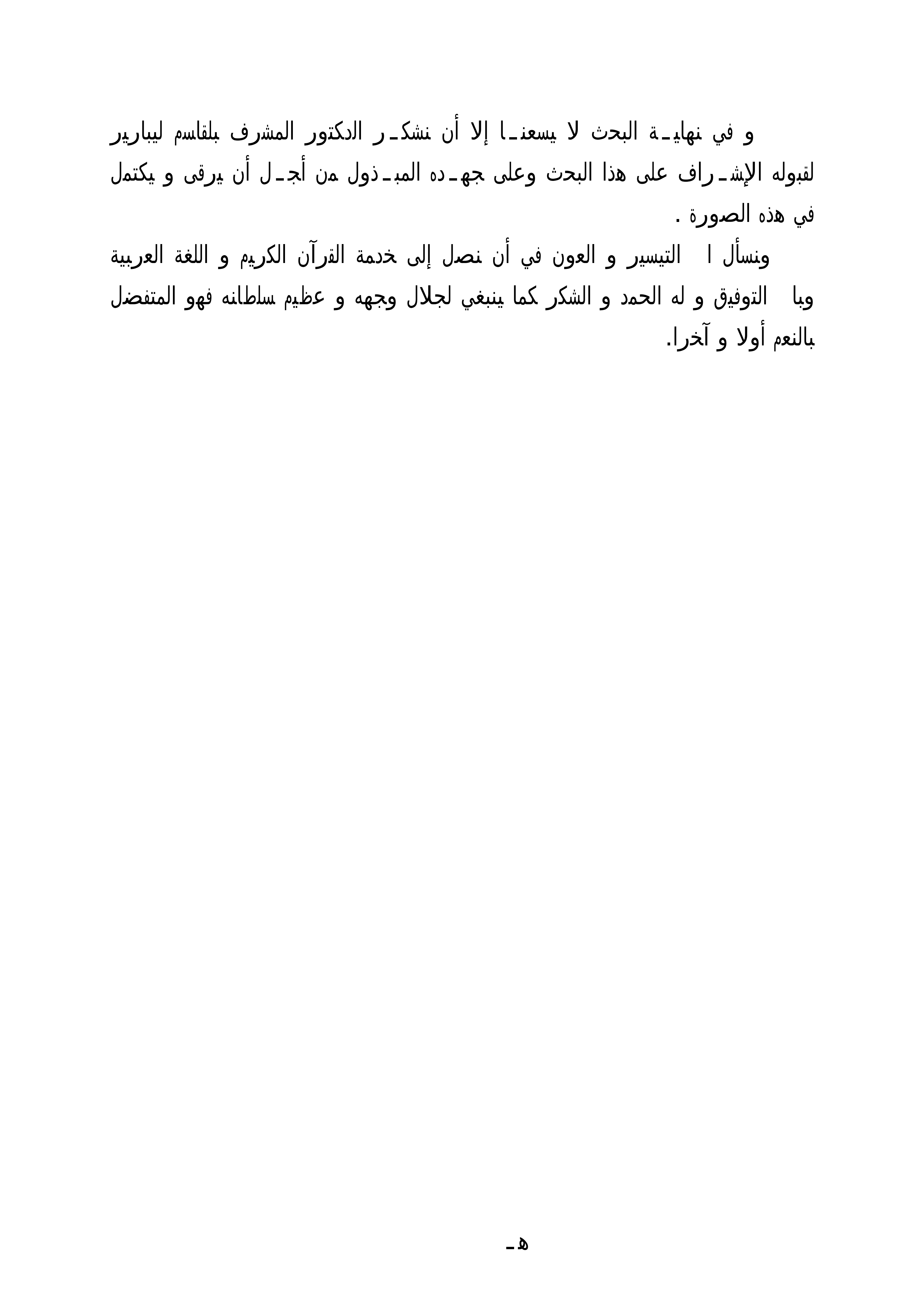
و هذا بالفعل ما كان في الفصل الثالث مع المقاربة السيميائية لسورة البقرة و المعوذات (سورة الإخلاص ، سورة الفلق، و سورة الناس)، وهذا ما اخترناه كنماذج في دراستنا التطبيقية. و القصد من اختيار بداية التسمية في القرآن الكريم و نهايتها ، هو محاولة البحث عن انسجـام التسمية في الخطـاب القرآنـي كما انسجـم بنـاؤه من خلال ترتيب سوره .

أما خاتمـة البحث فتضمنت النتائـج التـي توصـل إليها البحث في شقيـة النظري و التطبيقي .

إن البحث السيميائي في مجال سيمياء العنوان لا يزال يخطو خطواته الأولى لتأخر مسيرة البحث فيه عند مؤسسيه ، فكيف بها عند المتلقين المترجمين . لذا يعاني ميدانها من نقص المراجع على مستوى التنظير، فضلا عن نقصها على مستوى الدراسات التطبيقية ، و يصبح الأمر أشد صعوبة حين يتعلق بالنص القرآنـي لأننا ما استطعنا الحصول على دراسات تطبيقية في هذا المجال .

وعلية فالمراجع التي دعمت هذا البحث كانت قليلة ، إضافة إلى اختلاف رؤيتها في تطبيق إجراءات سيمياء العنوان ، مثال ذلك سندنا في هذا البحث كل من كتاب فكري الجزار "العنوان وسيميوتيقا الاتصال الأدبي" و كتاب " سيمياء العنوان " لبسام قطوس، فقد استفاد منهما البحث في جانبه النظري أكثر منه في جانبه التطبيقي، لذا اعتمدنا كتاب عبد المجيـد نوسـي "التحليل السيميائي للخطاب الروائي" فيما يخـص تطبيق سيمياء العنوان على أسماء سور القرآن الكريم من حيث تحديد المنهج و كيفيته . أما من جهة تطبيقه على المدونة فقد استعنا ببعض التفاسير،أهمها تفسير" نظم الدرر في تناسب الآيات " للإمام البقاعي و تفسير " في ظلال القران " لسيد قطب .

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث حداثة الموضوع و طبيعة طرحه فميدانه يعاني من نقص المراجع خاصة في الدراسات التطبيقية ، من جهة و من جهة أخرى نقص خبرتنا كباحثين في بداية التكوين لشق الطريق نحو البحث العلمي .



و في نهايـة البحث لا يسعنـا إلا أن نشكـر الدكتور المشرف بلقاسم ليبارير لقبوله الإشـراف على هذا البحث وعلى جهـده المبـذول من أجـل أن يرقى و يكتمل في هذه الصورة .

ونسأل ا التيسير و العون في أن نصل إلى خدمة القرآن الكريم و اللغة العربية وبا التوفيق و له الحمد و الشكر كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه فهو المتفضل بالنعم أولا و آخرا.

الفصل الأول: السيميــاء و العنونـة

تمهـــــد

1 - 1- ماهية السيمياء
2 - 1- مفهوم العلامة وأقسامها
2 - 1- مفهوم العلامة
2-1-1- مفهوم العلامة عند دي سوسير
2-2-1- مفهوم العلامة عند بورس
2-2- تصنيف العلامات
1-3- اتجاهات السيمياء المعاصرة
3-1-سيمياء التواصل
3-2- سيمياء الدلالة
3-3-سيمياء الثقافة
1-4- سيميـاء العنـوان
1-4-1- تعريف العنوان لغة واصطلاحها
1-4-2-وظائف العنوان
1-4-3-بين العنونة والتسمية
1-5-المنهج في دراسة أسماء سور القرآن الكريم

الخلاصة

تمهـــــد:

إن من عد أب للسانيات هو ذاته أول من تنبأ بميلاد السيمياء ، وهو العالم فيردينان دي سوسير فعلى يديه استقلت اللسانيات بموضوعها وتحدد منهجها لأنها كانت حقل اشتغاله ومنبع اهتمامه في الوقت الذي لم تحظ السيمياء إلا بلحظة الميلاد ، لأنه ظن أنها ليست من اختصاص اللغوي بل من اختصاص عالم النفس، غير أن ما يربطها باللسانيات كون هذه الأخيرة جزء منها.

لكن العلاقة بين اللسانيات والسيميائية ليست بالضرورة كما تصورها دي سوسير فلقد جاء من بعده رولان بارت و قلب مقولته فأصبحت السيميائية جزء من اللسانيات .

ولسنا الآن بصدد مناقشة هذه الآراء لأننا سنعود إليها في المبحث الأول من هذا الفصل ، وإنما نسعى من ذلك إلى تحديد الإطار العلمي لدراستنا من خلال معرفتنا لطبيعة هذه العلاقة المتداخلة ما بين اللسانيات و السيميائية.

فإذا نظرنا إلى اللسانيات في كونها نظام علاماتي ، فهي حتما جزء من السيميائية ستحتاج إلى القوانين التي تنتجها كما قال بذلك دي سوسير ، أما إذا اتجهنا لدراسة هذه الأنظمة العلاماتية مهما اختلفت طبيعتها ، فإنه لا يوجد غير اللسانيات بابا و طريقا لذلك فتصبح السيميائية أحوج ما تكون إلى اللسانيات .

فالعلاقة بين العلمين تبادلية، فاللسانيات تستفيد مما توصلت إليه السيميائية والسيميائية لابـد لها من اللسانيات حتى تصل إلى هدفها في دراسـة المعنى و ما يمكن أن يحيـل عليه .

نستطيع القول أن السيميائية تبدأ عملها حين تتوقف اللسانيات . وهنا تتضح طريق المقاربة اللسانية السيميائية موضوع بحثنا في أسماء سور القرآن الكريم .

فالمقاربة اللسانية السيميائية لأسماء السور في القرآن الكريم ستبدأ من اللسانيات باعتبار ما نحتاجه منها في دراسة المستوى التركيبي و الدلالي ، الذي سنستكمله بالمنهج السيميائي ومن ثم ننتقل إلى المستوى التداولي .

لذا فقد كانت غاية هذا الفصل تبين المنطلقات النظرية لمنهج بحثنا ، سبيلنا إلى ذلك الاختصار والاقتصار على الأهم من المهم حتى لا يتشعب بنا البحث في متاهة التنظير لعمل أساسه التطبيـق .

وعليه فقد أولينا اهتمامنا للتعريف بالسيمياء أولا لأن في أحضانها عرفت العنونة سبيلها للدراسة العلمية ، ذلك أن العنوان أول علامة تستوقف القارئ تدعوه لتدبر دلالاتها فهو عتبة النص وبوابة الولوج إلى عالمه .

اكتفينا في هذا المبحث بالتعرض للبدايات الأولى في نشأة السيمياء المتمثلة في جهود كل من العالمين" فردينان دي سوسير و شارلز سندرس بورس" وصولا إلى ماهي عليه اليوم من اتجاهات مختلفة اختلاف الآراء في تصورها لمفهوم العلامة وطبيعتها لأنها مادة ونواة البحث السيميائي، هذا ما قادنا لإدراج مبحث خاص بمفهوم العلامة وتصنيفاتها باعتبار أسمـاء السور علامات تخـفي وراءها دلالات كثيـفة نسعى لمعرفة طبيعتها وخصوصيتها من خلال هذه المقاربة، التي تتدرج إجراءاتها ضمن سيمياء العنوان.

وعليه خصصنا المبحث الرابع للتعريف بالعنوان لغة واصطلاحا مبرزين العلاقة بينهما وتضافرها في تحديد المفهوم ، لننتقل بعدها إلى وظائفه باحثين عما بإمكانه أن يتحقق على مستوى أسماء السور وما لا يتحقق.

ولأن هذه الأخيرة وسمت بالأسماء لا بالعناوين كان لزاما علينا النظر في العلاقة القائمة بين العنوان والتسمية لنتبين إمكانية دراسة أسماء السور بالمقاربة السيميائية .

وعلى الرغم مما حظي به العنوان من دراسة في الآونة الأخيرة إلا أنه لازال علما حديثا في بدايته تقل فيه الدراسات النظرية و التطبيقية خاصة على المستوى العربي ، كما أن هذه الدراسات تختلف في كيفية دراستها للعنوان ، لذا كان لابد أن نوضح منهج وطريقـة تناول أسمـاء السـور في القـرآن الكريـم بالمقـاربة السيميائية وهذا ما جعلناه ختاما لهذا الفصل.

وغاية بحثنا هو استغلال إجراءات المنهج السيميائي في استقراء عتبات النص القرآني والمتمثلة في أسماء سوره ، لذا كان سعينا إلى انتقائية تخدم الجانب التطبيقي من البحث متجاوزين التدقيق والتفصيل في الاختلافات سواء على مستوى مصطلحات

ومفاهيم هذا العلم أو ما ورد بشـأن تاريـخ نشأتـه فضلا عن تباين الترجمة و تعدد وجهات نظر الباحثين في فهم هذا العلم .

1-1 – مـ ـ ـ ـاهية السيـ ـمياء :

يعود الفضل في تحديد السيمياء كعلم مستقل عن غيره إلى العالم فردينان دي سوسير (1857_1913) عند تصوره لعلم يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية يندرج ضمن علم النفس الاجتماعي ، وبالتالي من علم النفس العام يدعوه بالسيميولوجيا [1]، تلك التي تدلنا على كنه وماهية العلامات والقوانين التي تنظمها[2].

لقد اعتبر دي سوسير تداولية العلامة عند مستخدميها صلب الدراسة السيميائية التي هي من اختصاص علم النفس لا اللسانيات لأن هذه الأخيرة تختص بدراسة اللسان البشري في ذاته ولأجل ذاته ، أي تسعى لمعرفة تركيب النظام اللغوي اللساني فقط ، لذا اكتفى بتحديد موضوع السيمياء وعلاقتها باللسانيات ولم يجتهد في إيجاد هذه القوانين التي يعتقد بإمكانية تطبيقها على اللسانيات إذ يقول: بأن " الألسنية جزء من هذا العلم . ولعله من الممكن تطبيق القوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا على الألسنية "[3] .

فدي سوسير يتوسم في السيميولوجيا أن تنتج قوانينها التي بالإمكان أن تستفيد منها اللسانيات وبهذا يتحدد موقعها ضمن الوقائع البشرية.

« فإن لم يكن فردينا ند دي سوسير بذلك مؤسس علم العلامات اللغوية ، فإنه من جانب آخر قد نهض بكل المفاهيم الحالية للعلامات في تأليف معين إلى مستوى أعلى ، فهو الذي رتب العلامات في أنظمة علاماتية ، وحدد خواص العلامة اللغوية و بحث في العلاقات بين لغات إنسانية طبيعية و أنظمة علاماتية أخرى »[4].

وإذا كانت طبيعة العلاقة بين السيمياء واللسانيات جعلت دي سوسير يرى الأخيرة جزء من الأولى فإن رولان بارت بدا له عكس ذلك ، لأن أي نظام غير لساني يجد نفسه حتما في حاجة إلى جسر عبور يجده في صلب اللغات الطبيعية بحيث يستحيل علينا تمثيله بغير نظام تبليغي لساني ما ، وعليه فهو يدعو السيمياء لأن تندمج في للسانيات

---

1 - المترجم ترجمها بالأعراضية و هي ترجمة لا تفي بحق العلم في اللغة العربية .

2-فردينان دي سوسر : محضارات في الألسنية العامة ، ترجمة : يوسف غازي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1986 ، ص 27 .

3 - المرجع نفسه : الصفحة نفسها .

4- بريجيته بارتشت : مناهج علم اللغة – هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي - ترجمة : سعيد حسن بحيري ، المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 101 .

وبهذا أمكنه قلب الاقتراح السوسيري. " ليست اللسانيات جزء ولو مفضلا من علم الأدلة العام ولكن الجزء هو علم الأدلة باعتباره فرعا من اللسانيات "[1].

وعلم الأدلة هنا يعني به السيمياء التي ينبغي لها أثنـاء دراسـتها للعلامـات أن تستعين باللسان البشري ، بوصفه أدق وأعقد وأكمل نظام سيميولوجي ابتدعه الإنسـان ، فما كانت لتفهم دلالات إشارة المرور في حالة عدم ترجمتها إلى كلمات فـاللون الأحمـر يوحي للأذهان كلمة ممنوع. وهكذا فإن دخول اللون والحركة كان في اللغة الدلالية يقترن بالتوظيف اللغوي سواء كان ذلك صراحة أو ضمنيا[2].

« فالسيميائية مهما احتوت اللسانيات فإن اللسانيات تظل محتفظة برونقها و تميزها بسبب طبيعة المادة الإشارية أو الوسيلة التي تتعامل معها (و هي اللغـات الطبيعيـة) ، فعند البحث نجد اللسانيات أكثر حيوية و حرية في الحركة و أوسع مجالا فـي إمكانيـة إيجاد فضاءات رحبة للتعامل مع مادة الدرس والبحث بحكم القابليات العديدة و الامتيازات الواسعة التي تمتلكها على النظم الإشارية الأخرى»[3].

فالمسألة إذن ليست في إثبات احتواء كل منهما للآخر ، بقدر ما ينبغي معرفة مـن دور كل منهما بالنسبة للآخر . « فاللسان البشري أكثر تمثيلا للعملية السيميولوجية ، ومن هذا المنطلق يمكن أن يصبح النموذج العام للسيميولوجيات»[4].

إن مادة السيمياء هي باختصار« تواصل الرسائل بأنواعها كافة ، في حين يقتصر حقل اللسانيات على تواصل الرسائل اللفظيـة. و لـذلك و بخصـوص هـذين العلمـين الإنسانيين ، فإن اللسانيات مجال ضيق لاختصاصه بدراسة العلامة اللغوية فقـط ، فـي الوقت الذي يتسع المجال السيمياء إلى كل العلامات على تنوعها . و مع ذلـك فـإن أي تواصل إنساني للرسائل اللفظية لا يفترض سلفا تواصل الرسائل غيـر اللفظيـة) »[5] .

يرى جاكوبسن أن السيمياء تحتل الموقع المركزي داخل علم التواصل الكلي ، لذا فهـي

---

[1] - رولان بارت : مبادئ في علم الأدلة : ترجمة ، محمد البكري ، الدار البيضاء ، 1986 ، ص 28 -29 .

[2] - صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، ص 119 .

[3] - فيصل الأحمر : السيميائية الشعرية ، جمعية الامتاع و المؤانسة ، الجزائر ، ط 1 ، 1994 ،ص 18 .

[4] - محمد نظيف ، ماهي السيميولوجيا ، إفريقيا الشرق ، ط 1 ، 1994 ، ص 18 .

[5] - رومان ياكوبسن : الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ترجمة : علي حاكم صلح و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، لبنان – المغرب ط 1 2002 ، ص 58 .

تسند فروع هذا العلم ، في حين أنها تشتمل على اللسانيات ، على أسـاس أن للسـانيات جزؤها الرئيسي الذي يؤثر في فروع السيمياء الأخرى كلها . فيخاص إلى وجود ثلاثـة علوم متكاملة يطوق أحدها الآخر[1].

تختص هذه العلوم بدراسة تواصل الرسائل سواء كانت الرسائل لفظية أو ضـمنية أو أية رسالة ، و بهذا يتحدد نوع كل علم و ما يختص به و علاقته بغيره .

يحدد جاكوبسن هذه العلوم و ما تختص به ، فيما يلي :[2]

1 – دراسة تواصل الرسائل اللفظية = اللسانيات.

2 – دراسة تواصل أية رسالة = السيمياء (تواصل الرسائل اللفظية و الضمنية).

3 – دراسة التواصل = الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالاشتراك مع علـم الاقتصـاد (تواصل الرسائل الضمنية).

و عليه فعلاقة السيمياء بالعلوم الأخرى ليست بالبساطة التي نبحث فيها عن احتواء علم للآخر ، بل تدعو للبحث في فهم عملية التواصل من خلال كل الأطراف المسـاهمة فيها ،و تبقى أفكار دي سويسر التي ضمها كتابة محاضرات في الألسنية العامة الرائدة في دفع البحث السيميائى نحوى تبلور نظرياته واتجاهاته .

على الرغم من وجود نظيره الذي عاصره وما التقى به أو تعرف علـى أفكـاره السيميائى الأمريكي شارل سندرس بورس (1838 –1914) الذي يعتبر أبو السـيمياء و مؤسسها ، فقد كانت موضوع اهتمامه وحقل اشتغاله .

و لقد ساعدته مشاربه الفكرية المختلفة من معرفته بالكيمياء والفيزياء والرياضيات وكذا الفلسفة والمنطق برؤية واسعة وشاملة في تصور هذا العلم ، جعلته لا يرى العالم إلا من خلال السيمياء حيث يقول: « لم يكن بوسعي أن أدرس أي شيء سواء تعلـق الأمـر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو الجاذبيـة أو الديناميكيـة الحراريـة أو علـم البصريات أو الكيمياء أو علم التشريح المقارن أو علم الفلـك أو علـم الـنفس أو علـم

---

[1] - المرجع ، السابق ص 66 .

[2] -المرجع نفسه ، ص 67 .

الصواتة أو الاقتصـاد أو تاريخ العلوم وكذا الويت (ضرب من لعب الورق) والرجـال والنسـاء والخمـر والميتولوجيـا إلا من زاوية نظر سيميائية »[1] .

فحسب تصور بورس لا يمكننا تمثل عالمنا الخـارجي إلا بواسـطة العلامـات وبدونها لا تتم عملية إدراكه .

فالكون من وجهة نظره يتمثل أمامنا باعتباره شبكة غير محدودة من العلامات .

« فكل شيء يشتغل كعلامة ويدل باعتباره علامة ويدرك بصفته علامـة أيضـا ولإدراك هذا الترابط الوثيق بين فعل الإدراك كما تصفه المقولات وبين الشكل الوجـودي للعلامة لابد من تحديد عناصر العلامة والكشف عن أشكال وجودها»[2].

والعلامة عند بورس تمتاز بكيانها الثلاثي الذي سيتفرع عنه العديد من العلامـات تتعدد علاقاتها فيما بينها استند في تحديدها إلى المنطق الذي يعده بـورس وجـه آخـر للسيميوطيـقا (SEMIOTICS) و السيميوتيـقا هو الاسـم الـذي اختـاره بـورس للسيميـاء في اللغة الانجليزية .

« تهتم السيمياء بدراسة العلامات وكل ما يحيل عليهـا عملهـا وعلاقاتهـا مـع العلامات الأخرى وإنتاجها وتلقي المستعملين لها وعندما تتمحور دراسة العلامات علـى تصنيفها وعلى علاقاتها مع العلامات الأخرى ، وعلى الطريقة التي تتعـاون بهـا فـي عملها، فإنها تمثل بهذا عملا "للنحو العلاماتي" وأما عندما تتمحور الدراسة علـى علاقـة العلامة مع مراجعها ومع التأويل الناتج عنها ، فإنها تمثل عمـلا " دلاليـا علاماتيـا " وعندما تهتم بدراسة العلامات بعلاقة العلامات مع المرسلين أو مع المستقبلين فإنها تمثل عملا " تداوليا علاماتيا»[3].

فمدار اشتغال السيماء إذن العلامة بوصفها الأداة التي يتمثل بها الإنسـان عالمـه الخارجي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه في محاولة فهم مستمرة لوجوده وللأشياء من حوله

---

[1] - سعيد بن كراد : السيميائيات و التأويل – مدخل لسيميائيات بورس – المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 13

[2] – سعيد بن كراد : السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها ، منشورات الزمن ،المغرب ، 60 -61

[3] - آآرت فان زويست : التأويل و العلامتية،– منذر عياشي : العلامتية وعلم النص – نصوص مترجمة –، المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ، د ت ، ص 38 .

وإذ السيمياء تتبع علاقات العلامة من الناحية التركيبية والدلالية والتداولية« فلأنها انتقدت الاشتغال الشكلي بالملامح الأسلوبية السطحية والنصوص المفردة ودعت بدلا من ذلك إلى دراسة الأبنية الدفينة والنظم الأدبية»[1].

« فالسيماء لا تتفرد بموضوع خاص بها فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزء من سيرورة الدلالة . بل إن كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسميائيات . وبعبارة أخرى فإن كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها »[2]. فاهتمام البحث السيميائي منصب حول فهم أسرار الدلالات ،هذا ما جعلها حقلا خصبا لاستثمار مناهجها وإجراءاتها في فهم أي نص مهما كان نوعه : أدبيا ، تاريخيا، سياسيا إشهار يا...

« وتتشكل السيميائيات في الوقت نفسه جزءا من محفل العلوم ،لأنها تملك موضوعا خاصا هو صيـغ وقوانين الدلالة (المجتمع والفكر) ولأن تتبلور في موطن تقاطع علـوم أخرى»[3].

من سوسير وبورس تأسست السيمياء كعلم مستقل بذاته وإن اختلفا في التسمية وفي تحديدهما للعلامة ومع أن دي سوسير تنبأ بالعلم فقط وحدده إلا أن أفكاره هي التي ساهمت أكثر في إثراء البحث السيميائي وهو في بدايته لأن أعمال بورس لم تحظ بالاهتمام إلا لاحقا .

« فقد كانت مجهولة في أوساط الباحثين الناطقين بالفرنسية إلا نفرا قليلا منهم أما في الثقافة العربية فتكاد تكون منعدمة إلا في أواخر التسعينات كما أن نظرية بورس يصفها البعض بالصعوبة والتعقيد وبجهازها الاصطلاحي الثقيل »[4] .

[1] --محمد شبل الكومي : المذاهب النقدية الحديثة – مدخل فلسفي – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2004 ، ص 256

[2] – سعيد بن كراد : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 18 .

[3] – جوليا كريستيفا : علم النص : ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال ، المغرب ، ط 2 ، 1997 ،ص 17 .

[4] – أحمد يوسف : الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2005 ، ص 117 .

ونشير أن بورس يتقاسم مع دي سوسير فكرة أن اللسانيات جزء من السيميائية لأن موضوع دراستها لا ينحصر في اللسان بل إنه يشمل التجربة الإنسانية برمتها فهي تتجاوز اللسانيات [1].

لكن هذا التقارب بين دي سوسير و بورس لمفهوم السيميائية و علاقتها باللسانيات لم يمنع بعض الباحثين من البحث في الفرق بين مصطلحي السيميولوجيا و السيموطيقا « حيث خصوا الأولى بدراسة نظام محدد من أنظمة التواصل من خلال علاماته و إشاراته ودراسة الدلالات و المعاني أينما وجدت وعلى الخصوص في النظام اللغوي . أما السيموتيقا فتهتم بدراسة الاتصال و الدلالة عبر أنظمة العلامات في علوم مختلفة و في تطبيقاتها و ممارستها الخيالية فهي تختص في الاتصال الآلي و الاتصال الحيواني و تصل إلى أكثر أنظمة الاتصال تعقيدا و تركيبا: لغة الأساطير ،و الشعرية ،مثلا مستعملة في هذه المجالات المختلفة علوم اللغويات، و الأنثربولوجيا ، المنطق و الفلسفة و الألسنية و هناك من يرى أن للمصطلحين مفهوما واحدا»[2]. بما أنها تهتم بموضوع واحد هو دراسة الدلالة و المعنى سواء اختص الأمر بمجال معين أو شمل كل الميادين .

1 – سعيد بن كراد : مرجع سابق ، ص 60 -61 .

2 - قدور عبد ا ثاني : سيميائية الصورة – مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم ، دار الغرب للنشر و التوزيع ،بغداد ، 2004 ،ص 96 .

-2 مفهوم العلامة وتصنيفها :

-2 1 - مفهوم العلامة :

إن البحث في مفهوم العلامة قديما قدم التفكير الإنساني في هذا الوجود لأنه بحث في معرفة معاني الأشياء و أسرار دلالاتها ، لذا فإن النظريات الخاصة بالعلامة ولدت ضمن سياقات فلسفية وعقدية بالغة التنوع والاختلاف.

وبما أن العلامة هي المادة الخام للسيمياء واللبنة الأساس ، فلابد من معرفة المفهوم ولو في صورته البسيطة وبالشكل الذي يسمح لنا على الأقل من تتبع هذه العلامات بمختلف تجلياتها أثناء دراستنا التطبيقية .

العلامة في اللغة العربية تعني السمة والأمارة والإشارة[1] ، وجميع هذه المعاني تحمل معنى الإحالة على شيء ما، وهي تتقاطع مع غيرها من اللغات في هذا المعنى .

« فالعلامة من اللاتينية sigNim تمثال ، إشارة ، دليل ، أمارة ، سمه ، عرض وبصفه عامة شيء مدرك يمكن أن نستخلص منها توقعات واستنتاجات وإشارات خاصة بشيء آخر غائب ومرتبط به. أثار مرض ما بادية على محيا المريض»[2].

هذا التعريف اللغوي في مفهومه لا يختلف عن مفهوم العلامة الأكثر شيوعا بالنسـبة لأمبرتوإيكو، وهـو التـعريف الـذي يقـدمه قاموس الفـلسفة أباغنانو Dictionnair de philosophie d_abbogmaNo ، حيث تعرف العلامة بأنها (كل شيء أو حدث يحيل على شيء ما أو حدث ما) إن هذا التعريف ذاته الذي تبنته الفلسفات القديمة والحديثة فهو يتصف بالعمومية ، ويسمح بتضمين العلامة كـل ممكنات الإحالـة مـا يتعلـق بالسبب والنتيجـة (والعكس صحيح) الشرط والنتيجة (والعكس صحيح) المثير الذي يثير الذكريات للكلمة ومداولها إيماءة ، الإشارة والشيء المشار إليه[3] .

وعلى عمومية هذا التعرف وبساطته يسمح لنا بضبط المفهوم في شكله العام الذي سيتضح أكثر بمعرفة أبعاد العلامة و العناصر المشكلة لها.

---

[1] - أ الفضل ال الدين ابن منظور : لسان العرب ، صادر للطباعة و النشر ، لبنان ، ط1 ، ج4 ، ص 416 .

[2] - أم تو إكو : العلامة ليل ا فهوم و تار ه ، تر ة : سعيد بن كراد ، ا ركز الثقا العر ، ا غرب ، لبنان ،ط2007،1، ص 36 .

[3] - ا رجع نفسه ، ص 67 – 68 .

وهي حسب تصور موريس (1949) ثلاث أبعاد :[1]

- **البعد التركيبي:** ينظر إلى العلامة باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية بعينها . ونعني بالتركيب أيضا دراسة البنية الداخلية للوجه الدال للعلامة في استقلال عن المدلول الذي تحيل عليه العلامة حتى في الحالة التي نفترض فيها أن العلامة لا تشتمل على أي مدلول (مثل تفكيك العلامة إلى وحدات صوتية دنيا) .

- **البعد الدلالي :**ينظر إلى العلامة في هذا المجال باعتبار علاقتها بما تدل عليه .

- **البعد التداولي:** إن العلامة في هذه الحالة تتحد من خلال وظيفتها الأصلية والآثار التي تحدثها عند المتلقين ، أي الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة .

فالعلامة تكتسي أهميتها بما تحمله من أبعاد ثلاث (تركيبي ، دلالي ، تداولي) ففيها يتمركزهذا العالم الذي لا نتمثله إلا من خلالها حيث تمنحنا القدرة على تداولها، وبتالي تمدنا بسيرورة الفهم المتجدد والذي لا نصل إليه إلا في إطار الحيـاة الاجتماعيـة « لأن التعـرف في العلامة السيموطقيـة لا يقـوم على الحدث الفـردي ولكن على التعلم ، فالعلامات هي نظم اجتماعية يلجأ إليها المجتمع للتواصل بين أفراده ولتنظيـم الأنشطـة المختلفة »[2] .

وإذا ما جئنا لتحديد عناصر العلامة فإننا سنجدها تختلف باختلاف وجهات نظر واضعيها كما تتعدد تسمياتها وفق لذاك حسب ما يقتضيه تصورهم لوظائف هذه العناصر و طبيعة العلاقة التي تربط بينها . ويزداد الأمر تشعبا عند ترجمتها إلى اللغة العربية لأنه يوجـد للمصطلح الواحد أكثر من ترجمة ، قد يتعذر معها إيجاد الانسجام داخل البحث إذا حاولنا الاستفادة من جميع هذه الترجمات . ونحن لسنا بصدد تتبع كل هـذه الاختلافـات وإنمـا سنكتفي بمعرفة العلامة عند قطبي التأسيس لهذا العلم وبقية الآراء نشير إليها فقط.

---

[1] -ا رجع نفسه ، ص 56 .

[2]- سيزا قاسم : القارئ والنص ،الس الأعلى للثقافة ، مصر، 2002 ،ص 205 .

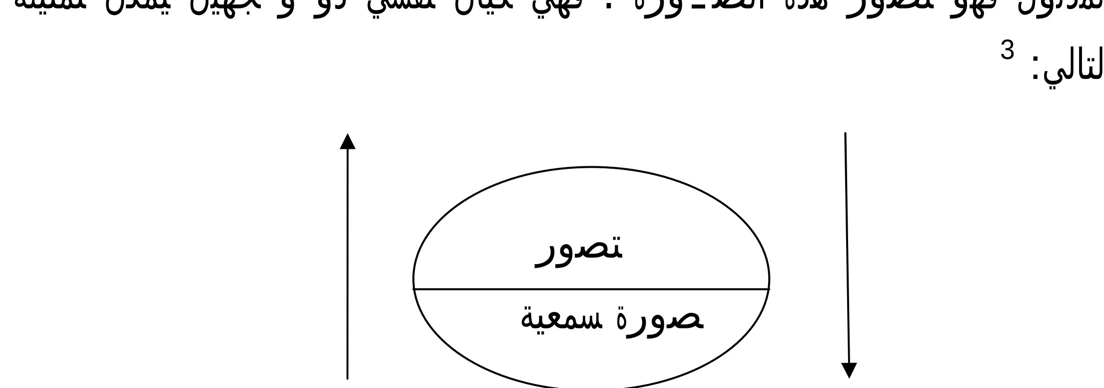
2-1-1 – العلامة عند دي سوسير:

يعرف دي سيوسيراللغة بأنها منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما ، فإنها تشبه الكتابة وأبجدية الصم والبكم ، والطقوس الرمزية ، وضروب المجاملة و الإشارات العسكرية ...الخ ، إنها وحسب أهم هذه المنظومات على الإطلاق [1] .

فاللغة عند دي سوسير تنظيم من العلامات مثلها مثل المنظومات العلاماتية الأخرى غير أنها تعـد أفضلها .

والعلامة في تصور دي سوسيرلا تربط شيئا باسم بل تصور بصورة سمعية و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي، الذي هو شيء فيزيائي صرف ، بل هي الدافع النفسي لهذا الصوت، أو التمثل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا، إن الصورة السمعية هي حسية [2].

فالعلامة هي مجموع ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول ، والدال هو الصورة السمعية أما المدلول فهو تصور هذه الصـورة ؛ فهي كيان نفسي ذو و جهين يمكن تمثيله بالشكل التالي: [3]



وطبيعة العلاقة بينهما اعتباطية بمعنى أنه لا يوجد ما يبرر ارتباط الدال بالمدلول مثال ذلك (أخت لا ترتبط بأي صلة داخلية مع تعاقب الأصوات أ، خ ، ت) تلك التي تقوم مقام الدال بالنسبة له ويمكن تمثيلها بأي تعاقب آخر أين يكن شكله ودليل ذلك اختلاف الدليل في مختلف اللغات[4] .

---

1 - فردنان دي سوس : مرجع سابق ،ص27 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 88 .

[3] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[4] - دي سوس : مرجع سابق ،ص 89-90

فلـو أن علاقـة الدال بالمدلـول معللة لاهتـدى النـاس كافـة إلى نفـس الألفاظ وتوحدت اللغة لديهم .

ويسحب مبدأ اعتباطية العلامة على جميع العلامات بما فيها العلامات الطبيعية التي قد نظن أنها معللة مثل (الإيماءة)، ويضرب لذلك مثلا الرجل الصيني الذي يحي إمبراطور وهو يخر أمامه تسع مرات، فعمله هذا قيده عرف اجتماعي لا منبثق عن قيمة باطنية[1]. فالاعتباطية عند دي سوسير هي خاصية لكل العلامات لسانية كانت أو غير لسانية فهي مبدأ عام والعلامة لها وجهين فقط هما الدال والمدلول وهو بهذا يبعد المرجع الذي يكاد يتفق جميع الدارسين بضرورة وجوده كعنصر ضمن العلامة ، لأنه يضع المرجع خارج إطار اللسانيات حتى تحافظ على علميتها .

إن مبدأ الاعتباطية ليس شيء مسلما به غير قابل للتعديل أو النقاش ، حيث أنه سيعاد النظر فيه من قبل بنيفست بالضبط و التعديل « و إن كان يسلم به مبدئيا ، لأنه يرى أن مبدأ الاعتباطية يقع بين العلامة (دال و مدلول) والشيء الذي تعينه ، و ليس بين (الدال والمدلول)، خصوصا أنهما من طبيعة نفسية (المفهوم و الصورة الصوتية) يتلازمان في أذهان الأفراد من خلال روابط متوحدة في ماهيتها و جوهـرها . إن الاعتبـاط يكمـن بين اللسان والعـالم ، ليست العلاقـات داخل اللسان باعتباطية ، و إنما هي ضـرورية»[2].

2-1-2 – العلامة عند بورس :

حظيت العلامة عند بورس بكل اهتمامه و انشغاله لأنه كان يسعى لبناء نظريته السيميائية ، فلم تكن العلامة عنده دليلا لسانيا فحسب ، بل أصبحت أنموذجا لكل نشاط دلالي[3]. سيتعذر على العقل البشري تمثل هذا العالم خارج إطار العلامة لذا سعى في تصنيفاته للعلامة إلى أن بلغ بها بضع وستين نوعا[4].

---

[1] - ا رجع السابق ، ص 90.

[2] - رولان بارت : مبادئ في علم الأدلة ، ص 160 .

[3] - أ د يوسف: السيميائيات الواصفة – ا نطق السيميائي وجـ العلامة – منشورات الاختلاف ، ا زائر ، ط 1 ، 2005 ، ص 46

[4] - مد سا سعد ا : لكة النصر التحليل السيميائي للنقد البلاغي ، عا الكتب ا ديثة ، الأردن ، ط1، 2007، ص 20 .

والعلامة عند بورس لا تتشكل مـن بعديـن كما هو الشأن عند سوسير وإنما من ثلاثة أبعـاد هـي : « ماثول représentamon يحيل على موضوع objet عـبر مـؤول in ter prêtant وهذه الحركة (سلسلة من الإحالات) هي ما يشكل في نظرية بورس ما يطلق عليه السميوز semiose أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة و تداولها وبعبارة أخرى إن السميوز هي المسئولة على إقامة العلاقة السيمائية بين الماثول والموضوع عبر فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به المؤول . وعلى هذا الأساس فإن السيموز يتحدد باعتباره سيرورة تشتغل من خلاله شيء ما كعلامة وتستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاث مستويات : ما يحضر في العيـان وما يحضر في الأذهان وما يتجلى من خـلال اللسـان»[1] .

ولكي يصبح ماهو حاضر للعيان محتفظ في الأذهان قادر على التحول إلى معرفة عامة لابد أن تنظم من خلال العناصر الثلاث للعلامة وإلا كانت المعارف تجارب عابرة غير نافعة فالمؤول بالنسبة لبورس هو الذي سيجعل من الذاكرة قابلة لتعميم مثال ذلك كلمة شجرة حين يسمعها فإنها لا تعطي له سوى مجموعة أصوات لكن إذا قمنا بتعريف هذا الموضوع الشجرة عن طريق صورة أو في الحقيقة مباشرة فإننا هنا قد قمنا بربط ماثول الذي هو صورة الشجرة الفعلية بموضوع ما تتضمنه الصورة أو الواقعة . ولكن هذا لم يجعل منها علامة إلا بتبرير هذه العلاقة من خلال تجريد الواقعة وتحويلها إلى مضمون معرفي يتجاوز الواقعة العينة بمعنى أننا شكلنا قانونا حسب بورس يسمح له باستحضار كل ما يشبه هذه الواقعة أي الشجرة كيفما كانت صورها في الواقع وهذا ما يقوم به المؤول وهذه هي وظيفته داخل العلامة [2] . فهو بعد ضروري وليس إضافة شكلية يتميز بها عن دي سوسير .

ولقد اختلفت الترجمات في تسمية عناصر العلامة عند بورس خلافا لما وجـد عند دي سوسير من اتفاق على الدال والمدلول، ولأننا انطلقنا في بحثنا من كتابات سعيد بن كراد فقـد وظفنا ترجمته الاصطلاحية ، التي يختلف في بعضـها منها مع غيره من

[1] - سعيد بنكراد ، السيميا ئيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 61 .
[2] - سعيد بن كراد : السيميائيات والتأويل ،ص 88-89 .

المترجمين في تحديده لعناصر العلامة عند بورس .و هذا للمحافظة على انسجام البحث دون الخوض في إشكالية ترجمة المصطلح ، لأن هدف البحث توضيح المنطلقات العلمية لهذه الدراسة لا البحث في تنظيرات ليس هذا مجالها . وعليه سنعرض بإيجاز تعريف عناصر العلامة عند بورس.

الماثول: يعتبر أداة وظيفتها التمثيل لشيء آخر فقط بمعنى أنه يعوض العالم الخارجي لدى الإنسان فهو يخلق علامة موازية له تصبح قابلة للتعرف ، فهو لا يعرف الشيء ولا يزيدنا معرفة به لأنه المعرفة المفترضة من خلال وجود باث ومتلقي. فهـو باختصار يقابل الـ دال عند سوسير[1].

الموضوع:هو ما يقوم الماثول بتمثيله سواء كان هذا الشيء واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق . فالموضوع عنصر من العلامة يتحول بدوره إلى علامة تحقق معرفة مباشرة من خلال الفعل مباشرة وهذا ما يسميه بورس بالموضوع المباشر أما الموضوع الديناميكي فهو المعرفة غير المباشرة للموضوع تفترض من خلال تحققها في السياق، فهو حصيلة لسيرورة سيميائية سابقة يدعوها بورس بالتجربة الضمنية experience collateralle مثال ذلك الجملة التالية الشجرة طويلة فالموضوع المباشر هو طول الشجرة و هو أمر متحقق لكل من يفهم اللغة العربية أما الموضوع الديناميكي فكل ما نستطيـع فهمه ضمن الإطـار الثقافـي لصيغة هذه الجملة كأن تحيل على الوطـن أوالديـن[2].

هذا التمييز للموضوع هو الذي يسمح بقراءة النص من هذين المستويين أو من خلال هاتين الزاويتين أحدهما مباشر وهو ما يشكل معطيات النص الظاهر وآخر ديناميكي يسمح بتأسيس المعرفة المفترضة عبر وجودها بفعل التأويل[3] . بمعنى أنه سيمنح النص قراءة أولى عبر بنيته السطحية وقراءة ثانية هي قراءة تأويلية عبر بنيته العميقة .

[1] - سعيد بن كراد : السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتا ، ص 64-65.
[2] - سعيد بن كراد : ا رجع سابق، ص 88-89
[3] - - سعيد بن كراد: نفسه، ص 67 .

المؤول: يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوع وفق شروط معينة فهو الذي يحدد العلامة ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية ، وبهذا تنتفي العلاقة المباشرة بين الإنسان ومحيطه الخارجي ذلك أن أي تأويل يتم استنادا إلى معرفة مسبقة[1]. نخلص إلى أن العلامة عند بورس عبارة عن شبكة من العلاقات تنقاد إلى أن تحلل ثلاثة أطراف تشكل الأبعـادالأساسية لهذه العلاقات،ولكي تحقق العلامة الدلالة والتواصل فإنه يستوجب وجود هذا الطرف المؤول وفي غيابه يتعذر على الماثول والموضوع أداء هذه الوظيفة بمفردها وبهذا يتضح أن الماثول (الممثل) يشكل مستوى الأولية وأن الموضوع يشكل مستوى الثانوية بينما يشكل المؤول مستوى الثالثية [2] .

وثلاثية العلامة عند بورس بدورها تتضمن ثلاثية أخرى هي بمثابة التعليل المنطقي للعلاقات التي تحكم العلامة وهذه الأبعاد هي ذاتها علامات أخرى للعلامات الأساسية .

فالمؤول يتضمن ثلاث علامات وقد اختار محمد سالم سعد ا تسميته بالرابط أو الوسيلة ، هي كالتالي[3] :

- **العلامة الكيفية:** هي علامة مجردة ظاهرة أو كيفية بحتة من الألوان والصفات الحسية.

- **العلامة العينية:** تكون عندما يحصل في الخارج شيء أو حدث فردي كإشارات المرور.

- **العلامة القانونية:** لا ترتبط بتحقيق مخصوص فتبقى هي في ذاتها مثل الرموز الرياضية.

أما الموضوع فينقسم إلى[4]:

- **الأيقون :** علامة تدل على موضوعها من حيث أنها ترسم أو تحاكي .

- **الشاهد :** يختص بعلاقة المجاورة بينه وبين الموضوع أو هو ترابط ديناميكي مع الشيء الفردي .

- **الرمز:** علامة تدل على موضوعه أو هو علامة قد اختيرت اتفاقا لتوحي بمرجعها

---

[1] -- سعيد بن كراد:ا رجع سابق، ص 88-89.

[2] - حنون مبارك : دروس السيميائيات ، دار توبقال للنشر ، ا غرب ، ط1 ، 1987 ، ص 47 .

2- مد سا : لكة النص ، ص 19 .

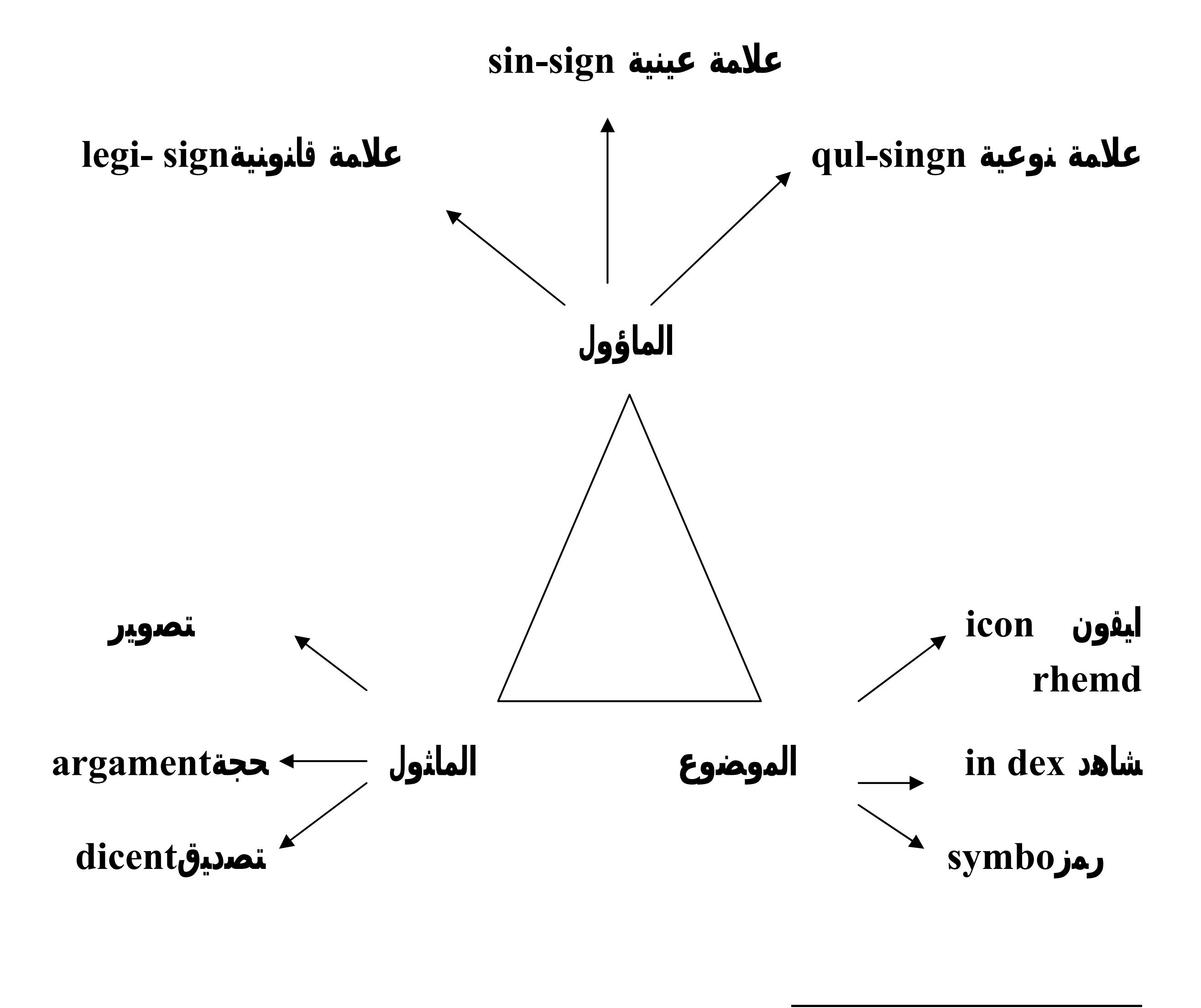
[4] - محمد سالم : المرجع السابق ، ص 19.

الأصلي مثل الحمـ ـام (رمز السلام) .

والماثول : يسميه محمد سالم سعد ا بالممثل interpretant فنجده يضم كلا من [1]:

- **التصور:** كل علامة مفردة أو مركبة تصلح لأن تكون حكما أو حدا في الحكم .
- **التصديق:** كل علامة قابلة للحكم أي أنها تقبل الصدق أو الكذب
- **الحجة:** هي تأليف من العلامات لا يتعلق سوى بالقواعد البرهانية

ويمكن تمثيل المثلث السيميائي لبورس على النحو التالي :[2]



[1] - المرجع السابق ، ص 19- 20 .

[2] -المرجع نفسه ، ص 20 .

إن التوزيع الثلاثي للعلامة هو الذي توصل إليه أغلب العلماء والدارسين وهذا ما استنتجه أمبرتوإيكو في كتابة العلامة لأنه يرى ذاك ما يتناسب مع الحس السليم على حد قوله وقد مثل هذه الاختلافات حول العلامة بالشكل التالي:[1]

المؤول(بورس)

المرجعية(رتشارد - اوغدن)

القصدية (كارنب)

المعني(فريجة)

القسم(موريس)

المدلول(موريس)

التصور(سوسير)

ايحاء(س.ميل)

علامة (بورس)	**صورة ذهنية (سوسير ،بورس)**	**موضوع (بورس)**
رمز(رتشارد واوغدن)	**المضمون(هلمسليف)**	**المعين (موريس)**
حامل العلامة (موريس)	**حالة وعى(بويسنس)**	**المعنى(فريجة)**
تعبير(هلمسليف)		**تقرير(روسل)**
ماثول(بورس)		**ما صدق (كارنب)**
دال(سوسير)		**معنم(بيوسنس)**

---

[1] - ا رجع االسابق ص54 .

2-2- تصنيـــف العلامات :

قد يكون كتاب أمبرتوإيكو (العلامة تحليل المفهوم وتاريخيه) هو الكتاب الذي قد جمع كل المعايير التي استند عليها في تصنيف العلامات قديما وحديثا . ويصف هذا التصنيف بأنه بانوراما للآراء ، ولا تمثل إلا وجهات نظر خاصة و لعل بورس هو المفكر الوحيد الذي حـاول تقـديم تصـنيف عـام آخـذا بعين الاعتبار كـل وجهـات النظر ومع ذلك ظـل تصنيفه ناقصـا[1].

وإذ نقدم هذا العرض الموجز لتصنيف العلامات فلأجل توسيع معرفتنا لمفهوم العلامة و ما يكتنف طبيعتها . لأن هذه المعرفة سنحتاجها في دراستنا التطبيقية ، باعتبار أن أسماء سور القرآن الكريم علامات تكتنز دلالات كثيفة وتختفي وراءها معاني كثيرة تدعو للبحث عن خصوصيتها .

وقد تضمن هذا التصنيف تسعة معايير هي[2]:

1- مصدر العلامة

2- الدلالة والاستنتاج: أي حسب قدرتها في حمل دلالة ما يمكن استنتاجها أو تأويلها.

3-درجة الخصوصية السيميائية : بمعنى أن العلامة لها دورين الأول قصد الوظيفة والثاني قصد الدلالة مثل الكرسي الفخم المرصع بالجوهر يحيل على عظمة العرش أكثر مما يحيل على وظيفة الجلوس.

4-القصديـة ودرجـة وعـي البـاث : أي هنـاك علامـات تنتـج عفويا بلا قصد وأخرى يتوخى منها قصد الإبلاغ .

5-القناة الطبيعية وجهاز الالتقاط الإنساني: والقناة وقد تكون مادية كالسائل والصلب أو غير مادية كالطاقـة الكيميائيـة أو الفيزيائيـــة.

---

[1] - أم توإيكو : مرجع سابق ، ص 108 .

[2] - ا رجع نفسه ، ص 63 -106 .

6-العلاقة مع المدلول : هنـاك عـلامات لـها دلالـة وأخـرى بلا مدلولات فلها قيمة تركيبية فقط .

7-إنتاجية الدال: علامات لا تقبـل الاستنتاج كالأعمـال الفنيـة (الرسم) وأخرى قابلة للاستنتاج .

8-نوعية العلاقة المفترضة مع المرجع : هذا ما يمثله تصنيف بورس حيث ترتبط بروابط مع الموضوع تمثلت في الأيقونة والرمـز والمؤشـر (الشاهد) .

9-السلوك الذي تثيره العلامة عند المتلقي : كالعلامة الدالـة علـى شخص أنـه نزيـه أو نـذل .

إن انصبت جهود أمبرتوإيكو لجمع كل المعايير التي أفرزتها الدراسات في هذا المجال فإن أحمد يوسف يعتقد أن هذا التصنيف فيه تكرار للمعايير لأن بعض العلامات تتواجد في أكثر من قسم بمعنى أن هذه الأقسام تتقاطع من حيث الخصائص مثل (القسم الأول والثاني ، والثاني والثالث ،الأول و الخامس ، الثاني و الرابع) ، كما أن بعض هذه الأقسام لا تتحدث عن خصائص العلامات بقدر ما تتحدث عن الخطابات التي تنتجها هذه العلامات مثلما الحال بالنسبة إلى القسم الرابع الذي يعنى بقصديه الباث ودرجة وعيه .و الأمر نفسه ينطبق على القسم التاسع ، بينما القسم السادس و الثامن يحيل على العلاقات القائمة بين العناصر المختلفة للعلامة[1].

و إن كان تعليق أحمد يوسف على معايير تصنيف العلامات فيه وجه صواب إلا أن أمبرتوإيكو يضع بين أيدينا ما توصل إليه الباحثون من معايير مختلفة ليست اقتراح منه يطرحه للنقاش وإنما إلماما منه بكل ما وجد في حق تصنيف العلامات .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن طبيعة العلامات في حد ذاتها هو الذي يجعل وجـود علامات تسمـح بأن تصنف ضـمن معيارين أو أكثر و هذا راجع لتعدد خصائص هذه العلامات و لا يعني هذا أنه تكرار في معيار التصنيف دون وجه

[1] - أ د يوسف: السيميائيات الواصفة ، ص 77 .

حاجة لذلك لأن خصائص العلامات مثلما تختلف فيما بينها في بعض الميزات فقد تشترك في البعض الآخر منها .

فالمعايير التسع لتصنيف العلامة له ما يبرره ،غير أن أحمد يوسف وجد البديل في تقسيم كلينكنبير الذي صنف العلامات على أساس التقطيعات المتماثلة والتقطيعات غير المتماثلة والتعليل والاعتباطية ، مثله في الجدول التالي:[1]

	معللة	اعتباطية
تقطيع متماثل	قرائن	رموز
تقطيع غير متماثل	أيقونات	علامات تحصر المعنى

هذا التصنيف لا يمثل التقسيم المثالي للعلامات فهو شامل وعام لم تراع فيه خصائص العلامات وما يميزها عن بعضها البعض . فضلا على أن هذا التقسيم قد لا تجد بعض العلامات لها مكان ضمن خاناته .

إذن لا يوجد تقسيم أفضل من الآخر وإنما لكل تقسيم ميزاته التي ينبني عليها ونقائصه التي يتعذر الهروب منها .

[1] - ا رجع االسابق ، ص 78 .

3- اتجاهات السيمياء المعاصرة :

تأسست السيمياء بفضل جهود كل من دي سوسير و بيرس غير أن أفكار دي سوسير هي التي كان لها في البداية فضل السبق في إثراء البحث السيميائي وان لم تكن وجهته كذلك . في الوقت الذي تأخرت فيه أفكار بيرس عن الظهور فلم تؤدي بذلك أي دور في التطـورات التي عرفـها البحث النظـري للسيمياء[1]؛ بل سيظـهر دورها في مـراحل لاحـقة .ومنه اتسع فضاء البحث السيميائي كنتيجة حتمية للجهود التي تبذل في هذا المجال فطالت جميع مظاهر الحياة ، ولنقل كل شيء يستطيع أن يصبح علامة حتى الثقافة ، وهي تمثل آخر الاتجاهات ظهورا .

فالعلامة هي محور دوران اتجاهات السيمياء « إذ إن اتساع موضوعات السيمياء مرده إلى صعوبة تحديد العلامة فهي تتشاكل مع مفاهيم مجاورة لها مثل الإشارة و القرينة و المؤشر و الرمز »[2].

وعليه فقد انقسمت هذه الاتجاهات إلى ثلاث اتجاهات رئيسية هي:

3-1- سيمياء التواصـل :

ظهرت مع أبحاث إريك بوسنس (1943) في تحديده لدراسـة أنسـاق التواصـل المتمثلة في وسائل مستعملة للتأثير في الآخر وهي معروفة لديه ، و سـيمياء التواصـل تعتمد على مبدئيين أساسيين هما:[3]

- توفر القصد في التبليغ لدى المتكلم .
- اعتراف متلقي الرسالة بهذا القصد .

وتتم معرفة مقياس القصد في التبليغ من خلال التمييز بين نوعين من الوحدات هما [4]:

---

[1] -آن إينو : تاريخ السيميائية ، تر ة : رشيد بن مالك ، منشورات دار الوفاق ، جامعة ا زائر ، ص 14 .

[2] - رولان بارت : مرجع سابق ، ص 61 .

[3] - رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص- عر – ا ليزي – فرنسي ، دار ا كمة ، ا زائر ، 1997 ، ص 172 – 173 .

[4] - المرجع نفسه ، ص 173 .

- الوحدات التي من أجلها يتوفر القصد للتبليغ تسمى أدلة .

- الوحدات التي ينعدم فيها القصد في التبليغ وتسمى إشارات.

فسيمياء التواصـل إذن لا تهتم إلا بالأدلة بوصفها قناة الاتصـال بين المرسل والمتلقي أما الإشارات فهي تستبعدها عن مجال اهتمامـها حتى ولو أثرت في الآخر بما أنها غير مقصـودة .

« لذلك فهم يقيمون العلامة على ثلاث أسس ، تختلف في ركن منها عن أركان العلامة عند دي سوسير و بورس ، إنها تتكون عند هؤلاء من الدال و المدلول و القصد الذي جعل مفصلا للفرق بين سيميولوجيا التواصل و بين سيميولوجيا الدلالة ، فشرط ما يعتبر ضمن هذا النوع من الممارسات ، أو الوقائع السيميولوجية ، أن يكون الهدف من استخدامها و توظيفها رأسا ، هو التعبير عن مراد الشخص و قصده ، في أن يؤثر في المتلقي للعلامة ، بوجه من وجوه العلامة »[1].

وبهذا يبعد أنصار سيمساء التواصل ذلك النوع من السيميائية الذي يدرس البنيات التي تـؤدي وظائـف غير وظيفة التواصل المعتمـد على القصـدية لأن هذا النوع سيلتبس بعلـوم أخرى.

فالقصدية من التواصل هي الميزة الفارقة بين الوظيفة التواصلية عن الوظيفة الدلالية ، غير أن العلامة التي يشترط فيها القصد بالنسبة لهذا الاتجاه ليست دائما قادرة على ذلك بالشكل الذي تصوروه ، أو بالبساطة التي توهموها .

إذ أن ما تعتمد عليه سيمياء التواصل و هي الأدلة باعتبارها أداة التواصل بين مرسل و مرسل إليه ، قد تعجز عن أداء هذه الوظيفة ، بما أنه يوجد تمايز بين طبقات المتلقين و نزعاتهم« أي أنها لم تراع أشكال التواصل الواقعية و يصدق ذلك حتى على إشارات المرور(الأدلة المفضلة و النموذجية لهذا الاتجاه لأنها تتضمن فكرة محددة معطاة من قبل إظهارالمركب) ذلك أن كل شخص معرض للخطأ في تقيم تلك الإشارات ، و

[1] - نواري سعودي أبو زيد ، الدليل النظري في علم الدلالة ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007 ، ص 13 -14 .

عندما يقع ذلك لا يكون بمقدور ذلك الشخص تصحيح المعنى ، لأنه لا يكون أمام شريط تواصلي،يتيح له تقويم التجربة التواصليةعن طريق جعلها فعلا لسيرورة الاستمرارية »[1].

و بالتالي فالاعتماد على الأدلة فقط لا يضمن نجاح العملية التواصلية لأن ما يهمله هذا الاتجاه و هو الإشارات يتدخل بالضرورة في هذه العملية، سواء بقصد أو بغير قصد.

3-2- سيمياء الـ دلالة:

اهتمت سيمياء الدلالة بما أهملته سيمياء التواصل لا لشيء سوى لأن عملية التواصل لا محالة ستتأثر بقصد أو بغير قصد ، لذا فلا يمكن إغفال الإشارات دون الأدلة بما أنها غير مقصودة بل ستساهم في عملية التواصل ، و قد تصبح العلامات غير المقصودة أكثر تأثيرا من العلامات المقصودة في بعض الأحيان .

لذلك نجد أن أصحاب هذا الاتجاه قد اهتموا بالجانب الدلالي للعلامة حيث يؤكد رولان بارت بأن إمكانية التواصل قد تتوفر سواء بمقصديه أم بغير مقصديه وبكل الأشياء الطبيعية والثقافية سواء كانت اعتباطية أو غير اعتباطية فعملية التواصل لا محال واقعة لذا آمن أن وحدة النص لا تكمن في مقصد المؤلف بل في بنية النص فناد حينها بموت المؤلف ورأى أن القراء أحرار في فتح العملية الدلالية للنص وإغلاقها دون أي اعتبار بالمدلول وعلى نحو يغدو معه القراء أحرار في أن ينالوا لذتهم من النص وأن يتابعوا حين يشاءون تقلبات الدال وهو ينساب وينزلق مراوغا قبضة المدلول. وإذا كان القراء بدورهم مواقع من إمبراطورية اللغة [2] .

يذهب بـ ارت إلى أن إحـ دى القدرات التي ينطـ وي عليها الأدب في قدرته السيميولوجية ، هي قدرتـ ه في المراوغة و اللعب بالدلائل ، بحيث يفتح أفق التوقع خارج حـ دود النص .

---

[1] - عبد الطيف مجفوظ : آليات إنتاج النص الروائي –نحو تصور سيميائي – منشورات الاختلاف ، الجزائر و الدار البيضاء للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص 78 .

[2] - رامان سلدن : النظرية الأدبية ا عاصرة ، تر ة : جابر عصفور ،دار قباء للطباعة والنشر ، مصر، 1997، ص121.

لم تعد القصدية في هذا الاتجاه مهمة في فهم الدلالة وإنتاجها بقدر ما هو مهم كيف يصبح المتلقي منتجا لنص من خلال فك شفراته التي تمتد إلى أقصى ما تصل إليه العين حسب ما يراه رولان بارت الذي حافظ على الكيان الثنائي للعلامة من دال ومدلول غير أنه لم يقصرها على المجـال اللساني فقط وإنما سحبـها على كل العلامات الموجـودة في الحياة.

فاللباس وفق تصور بارت يستخدم مثلا للتغطية ،و الطعام للتغذية ، إلا أن ذلك لا يمنع أن يدل على شيء آخر، كارتداء المعطف الشتوي يستخدم للوقاية من المطر ، و لكن لا يمنع أن ينبئ المعطف بحالة مناخية .

« وإذا ما كنا لا نستطيع فعلا أن نتعرف على سيرورة سيميولوجية بدون الوعي الكلي لكلا الطرفين الباث و المتلقي ، ألا يمكن انتقال لشيء ما يزيد على المعنى المعطى من طرف الجماعة ، أو عما هو في معاجمها من الكلمات المستخدمة ؟ ألا يمكن أن يكون هناك صيرورة دلالة لا تتحدد بالضرورة بما هو في وعي الطرفين ؟ »[1] .

فبالنسبة لبارت و أنصار سيميولوجيا الدلالة ، المعنى المتلقي أو المعنى المعجمي يتطفل عليه ، و يتم تحويله من خلال الممارسة الاجتماعية للدليل و هذا التحول يكون ممثلا لجزء من معنى الدليل أكثر مما يمثل المعنى المعجمي المعطى ، لأن مجموع نظم الدلائل هي وقائع اجتماعية يقع غرسها كل لحظة في التاريخ ، إنها لا يمكن أن تبقى غير مبالية بهذا التاريخ أي على الحياد[2].

[1] - دليلة مرسلي و آخرون : مدخل إلى السيميولوجيا (نص – صورة) ، ترجمة : عبد الحميد بورايو ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 17 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 18 .

3-3- سيمياء الثقافة :

استفاد هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية وفلسفة الأشكال الرمزية لـ(كاسيرر) ومن أهم رواد هذا الاتجاه بورس، لوتمان، ايفانوف،اوسبانسكي،ودروف وفي إيطاليا (روسي لاندي،امبرتوإيكو) وهم ينظرون للعلامة كبناء ثلاثي الأبعاد يتكون من دال ومدلول والمرجع[1] وهذا الأخير هو الذي لا يفسر إلا في إطار مرجعية الثقافة .

المدلول

المرجع الدال

فالعلامة عند هذا الاتجاه لاتكتسي دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار ثقافي وهو لاينظر إلى العلامة المفردة بل يتكلم عن أنظمة دالة أي مجموعات من العلامات ولا يؤمن باستقلال النظام الواحد عن الأنظمة الأخرى بل يبحث عن العلاقات التي تربط بينها سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة(علاقة الأدب بالبنيات الثقافية مثل الدين،الاقتصاد، الأشكال النحتية...الخ)أو يحاول أصحاب هذا الاتجاه الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبرتطورها الزماني أوبين الثقافات المختلفة وبين الثقافة واللاثقافة[2].

فهذا الاتجاه يعتبر الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية ، إذ العلاقات الاجتماعية لا تقوم ما لم ننسج علاقات تواصلية .

وانطلاقا من هذا يمكن أن نعرف « الثقافة بوصفها مجالا لتنظيم الإخبار في المجتمع الإنساني فتعتبر بذلك آلية الثقافة بمثابة جهاز يغير المحيط الخارجي إلى محيط داخلي يحول الفوضى إلى نظام والناس الغفل إلى متعلمين »[3]. ذلك أن النسق الثقافي نسق تواصلي يستلزم فيه تبادل العلامات .

---

[1] - عبد ا وآخرون: معرفة الآخر - مدخل إ ا ناهج النقدية ا ديثة ، ا ركز الثقا العر ، ا غرب – لبنان ،ط 2 ،1996، ص106

[2] -ارامان سلدن : مرجع سابق ، ص 107 – 108 .

[3] - حنون مبارك : مرجعا سابق ، ص 86.

4- سيمياء العنـوان:

تأخرت دراسة العنوان مع أنه أول محطة تستقبل المتلقـي ذلك أن الدراسات قد تجاوزته لفترة من الزمن كان النص الأدبي في بنائه المتكامل الصرح الذي يشد الأنظار رغبة في فهمه و الوقوف على أسراره ، و يندرج العنوان الآن ضمن العتبات التي انتبه الباحثون لدورها في فهم النص وما يمكن أن تحيله من دلالات قد تصبح الشفرة الأساس في فك معانيه ، كما يفهم العنوان من خلال ما يعنونه .

« وقد ظهرت إرهاصات هذا العلم سنة1968 من خلال دراسة للعالمين الفرنسيين فرانسوا فروري و أندريفو نتانا تحت عنوان "عناوين الكتب في القرن الثامن عشر" ثم ظهر بعد ذلك سنة 1973 كتاب شارل جيفال الموسوم "إنتاج لاهتمام الروائي " ضم فصلا مخصصا لـ" قوة العنوان " و قد برز في هذا الميدان الناقد ليوهك كرائد من الرواد المؤسسين لهذا العلم بفضل مقالاته المنشـورة في عدد من المجلات و بفضل كتابه "علامة العنوان " الذي أصبح مرجعية معتمدة »[1].

« حظيت بعد ذلك دراسة العنوان بالاهتمام لدى النقاد الغربيين من أمثال جيرار جنيت في كتابه seuils 1987 و ترجم بـ "عتبات" وروبرت شولز في " كتابه اللغة والخطاب الأدبي" حيث خص العنوان بحديثه عن سيمياء النص الشعري وجان كوهين في كتابه بنية اللغة الشعرية إلا أن مقاربة العنوان في حقل الشعرية ما يزال حديث العهد كما اعترف جان كوهين بذلك »[2].

أي أن تقـدم الدراسات النظرية في دراسة العنوان لا يعني تقدمـها في الميدان التطبيقي و هذا يشير إلى أن سيمياء العنوان لا تزال تخط الأسطر الأولى من بدايتها.

إذا كانت دراسة العنوان حديثة على النص الأدبي فإنه قد يبدو من الجرأة أن نسحب إجراءاتها على مقاربتنا السيميائية لأسماء السور في القران الكريم ، والتي ينظر إليها بحذر حين يتعلق الأمر بالنص القرآني لما يمتاز به من خصوصية ترفعه عن أي نص وترغب به عن أي منهج .

---

[1] - الطيب بودربالة: قراة كتاب "سيماء العنوان"، اضرات ا لمتقى الوط الثا السيمياءو النص الأد ، " ، دار ا دى للطباعة والنشر والتوزيع، ا زائر، 2002،ص 28

[2] -بسام موسى قطوس : سيماء العنوان، وزارة الثقافة ، الأردن،ط1 ، 2001 ،ص 33.

غير أن هناك من يدعم هذه الدراسات و يرى فيها السبيل الأمثل لإعادة قراءة التاريخ الإسلامي و التراث العربي ، لتمكن من إلقاء ضوءا جديدا على التراث ، و إبداع مواقف فكرية أكثر ارتباطا و التزاما بالفكر العلمي .

« هذا ما يسمح بتحليل النصوص تحليلا موضوعيا يقوم على استخدام مقولات السيمياء و اللسانيات ، من أجل عودة نقدية للمواد المقروءة ، لمعرفة كيف تقوم العلامات المستخدمة في النصوص بالدلالة و توليد المعنى . و لماذا معنى معين و ليس معنى آخر؟ و لمن ينبثق المعنى ؟ و ضمن أية شروط ؟ »[1].

و هذا الرأي الأخير هو الذي يعزز رغبتنا في الاستفادة من هذا المنهج و يشجعنا لخوض هذه المحاولة من أجل رفع الغطاء عن أسماء السور والكشف عن دلالاتها المواراة لنتمكن من إعادة تشكيل فهم جديد للنص القرآني في ظل أسماء سوره .

[1] - فارس مسرحي : الحداثة في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم – ناشرون -، لبنان ،ط 1 ، 2006 ص 111 .

4- تعريـف العنـوان :

4-1 - تعريف العنوان لغة :

يرجع الباحثون كلمة العنوان في لسان العرب إلى مادتين مختلفتين هما عنن وعنا وكلتا المادتين تشتركان في دلالتهما على المعنى كما تشتركان أيضا في الرسم والأثر وعليه فالعنوان في اللغة ينحدر من جذر عنن التي تتضمن المعاني التالية[1] :

عنن عن الشيء يعن ويعن عننا وعنونا : ظهر أمامك .

وعن يعن ويعن عنا وعنوانا واعتن : اعترض وعرض .

والعنة والعننة : اعتراض بالفضول والاعتنان : الاعتراض ويقال لرجل الذي يعرض ولا يصرح : قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته

فمعاني الجذر ع ـ ن تنطوي على معنيين أساسيين هما الظهور والاعتراض

أما المعنى اللغوي الذي يشارك المعنى الاصطلاحي لمفهوم العنوان فهو[2] :

عننت الكتاب و أعننته لكذا : أي عرضته له و صرفته إليه .

وعن الكتاب يعنه عنا و عنه كعنونه ، و عنونته.

وسمي عنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته .

قال ابن برى : والعنوان الأثر ، قال سوار بن المضرب .

وحاجة دون أخرى قد سنحت بها جعلتها للتي أخفيت عنوانـ ـ ـا

قال : وكلما استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له .

نلحظ أن مادة عنن إضافة إلى ما سبق قد تضمنت معنى التعريض و الأثر .

أما مادة عنا فقد تضمنت المعاني التالية :[3]

عنا النبت يعنو إذا ظهر .

عناه الأمر يعنيه عناية و عنيا :أهمه .

عنيت فلانا أي قصدته ، وعناني أمرك أي قصدني .

عنيت بالقول كذا :أردت ، ومعنى كل كلام معناته و معنيته :مقصده

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ،310 .

[2] - ا رجع نفسه ، ص 312 .

[3] - ا رجع نفسه ، ص 315 -316 .

أما عنوان الكتاب : مشتق فيما ذكروا من المعنى و فيه لغات : عنونت و عنيت و عننت وقال الأخفش : عنوت الكتاب واعنه ؛ و أنشد يونس :

فطن الكتاب إذا أردت جوابه واعن الكتاب لكي يسر و يكتما

قال ابن سيدة : العنوان و العنوان : سمة الكتاب . وعنونه عنونة و عنوانا وعناه :كلاهما وسم بالعنوان . و قال أيضا و العنيان : سمة الكتاب ، و قد عناه و أعناه و عنونت الكتاب و علونته . قال يعقوب : و سمعت من يقول : و أطن و أعن أي عنونه و أختمه .

قال ابن سيدة : وفي جبهته عنوان السجود : أي أثر [1].

فالمادة عنا أيضا حملت معنى الظهور و الأثر زيادة عن القصد و العناية أما معنى العنوان فيحافظ على معناه من المادتين (عن و عنن) و هو ما تعلق بتسمية الكتاب و بذلك فهو يحمل في طياته المعنى الاصطلاحي كما أن معاني مادة عنن و عنا تشترك مع معاني العنوان في الدلالات التي يتضمنها التعريف الاصطلاحي .

4- 1 – 2 - تعـريف العنوان اصطلاحا :

نستطيـع الآن أن نحدد المعـاني المشتركـة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لمادة العنوان من حيث دلالاتها وهي[2]:

-أن العنوان سمة الكتاب أو النص و وسم له علامته عليه و له . وهذا ما أشار إليه جيرار جنيت في كتابه عتبات .

- الإشارة إلى مقصدية العنوان ، ففي العنوان مقصدية من نوع ما ، تحيل على مرجعيته.فهو في الوقت الذي يقود القارئ إلى العمل هو من زاوية يخبرنا شيئا ما .

- العنوان ظاهر و بارز و معترض ، فهو أول لقاء مادي (فيزيقي) محسوس بين القارئ و الكتاب أو القارئ بالكاتب ، فكأن العنوان يعترض و يظهر و يبرز أمام القارئ معلنا عن نفسه.

1 - ا رجع السابق ، ص 116.

[2]- بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان ، ص 31.

- الدلالة البصرية أو الأيقونية : إن دلالة الظهور و البروز و الاعتراض تشبه ما يهتم به النقد الحديث حول الصورة الأيقونية و الحيز الذي يشغله من الصفحة ، سيشكلان صدى العنوان على المتلقي و بخاصة في عصرنا هذا .
- دلالة العنوان على المعنى واضحة لأنه يعتبر إشارة أو علامة سميائية .
- المساواة بين الأثر و عنوانه ، فكأن العنوان هو الكتاب أو الأثر.

فمقروئية النص أي كان جنسه الأدبي تتوقف على جاذبية العنوان في قدرته على الظهور أمام كم هائل من العناوين تجبره على المنافسة في اعتراض طريق القارئ بقوة دلالتها على النص الذي تعرضه .

فالتعريف الاصطلاحي يتضمن إذن الكثير من المعاني اللغوية التي اشتملت عليها مادة العنوان سواء أكان الجذر عنا أو عنن ، و هذا ما يعطي للمصطلح قوة الحضور و الوضوح حيث يتضافر المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي في تحديد دلالات العنوان التي ستظهر هي الأخرى في وظائفه .

فالعنوان يعد الواسطة المركزية في عملية ربط الخطاب الموجه إلى القارئ بنقطة ارتكاز موجهة تظل تلاحق وعي وانتباه القارئ و توجه و تجمع شتات تأويلاته إلى دائرة محكمة بأطر الموضوع والمجال المعرفي والثقافي والرغبة الأولى في فعل صناعة الخطاب وعلى هذا يمكن تصور حالة الوعي و هو يقرأ نصا بلا عنوان فهو انشقاق و شرخ كثـيف في البنية الأنطولـوجية للفـهم و تفكـك لمواقع تأثيـر المعنى و ترميمه في عمـل الدلالـة [1].

« وفي هذه الحالة يصبح العنوان البوابة الرئيسية للولوج إلى النص في غيابها يبقي المتلقي في فضاء مفتوح يصعب عليه إيجاد الشفرات التي انبنى عليها النص ، و منه فإن قراءة النص تظل مرهونة باللحظة التأسيسية الأولى لدلالة العنوان وهي اللحظة التي تعمـل منـذ البداية على الإحاطـة بكامل النص وكل ما يمكن أن يلقي على هوامشه فيظـل موسـوما بها»[2].

---

[1]- عمارة ناصر ، اللغة والتأويل ، منشورات الاختلاف ا ـزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 168

[2]- ا ـرجع نفسه الصفحة نفسها .

ذلك أن العنوان يشكل مرتكزا دلاليا ينبني عليه فعل التلقي بوصفه أعلى سلطة تلقي ممكنة و لتميزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن ، لاكتنازه بعلاقات إحالية (مقصدية) حرة إلى العلم ، وإلى النص ، و إلى المرسل .

« فالعنوان إذن ذو حمولات دلالية و علامات إيحائية شديدة التنوع و الثراء مثله مثل النص بل هو نص مواز كما هو عند جيرار جنيت ، و إذا كان النص نظاما دلاليا و ليس معاني مبلغة فإن العنوان كذلك نظام دلالي رامز له بنيته السطحية و مستواه العميق مثل النص تماما[1]».

و هذا ما يدعونا أثناء تحليل العنوان مراعاة مستويين[2] :

- **الأول :** مستوى ينظر فيه إلى العنوان باعتباره بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص .

- **الثاني :** مستوى تتخطى فيه الإنتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل و مشتبكة مع دلائليته دافعة محفزة إنتاجيتها الخاصة بها.

فالعنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه فهو بمثابة نص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره و أبعاده و كما يقول رولان بارت : « إذا قرأت ما تحت العنوان ستدرك السبب و كلما قرأت على قدر كبير من الأهمية في حياتنا ، إنها تتضمن قيما مجتمعية و إديولوجية كثيرة ، لابد للإحاطة بها من تفكير منظم لهذا التفكير . هذا التفكير هو ما ندعوه على الأقل سيمولوجيا»[3].

فما ينطوي عليه العنوان من دلالات مهما اختلفت مشاربها تحتاج إلى دراسة منظمة ، يرى بارت أن السيمياء قادرة على ذلك ليس من باب إضاعة الوقت و لكن لأن العنوان عتبة الولوج إلى النص و مفتاح يعين على فتح مغاليقه و فك شفراته .

فالعنوان يمدنا بزاد متين لتفكيك النص ودراسته ونقول هنا « إنه يقدم لنا معونة كبيرة لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى و يعيد إنتاج نفسه ، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد . غير أنه إما أن يكون

[1]- بسام قطوس ، مرجع السابق ، ص 37

4- محمد فكري الجزار : العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1998 ، ص 8.

[3] رولان بارت: ا مغامرة السيمولوجية، عبد الرحيم حزم ، مراكش ، ط1 ، 1993 ، ص38 .

طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه ، وإما أن يكون قصيرا ، و حينئذ فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توحي بما يعنيه »[1].

وخلاصة القول في العنوان من حيث الاصطلاح "أنه للكتاب كالاسم لشيء به يعرف و بفضله يتداول فهو سمة للكتاب و علامة تدل عليه لا يختلف في لغة العامة عنـه في لغة الاصطلاح .

و« العنوان تعويض للسياق في الاتصال الشفهي مما يجعل فكرة الإحالة الآلية للعنوان على الكتاب ، بل يدعو القارئ للـتدخل في إنتاج هذه الإحالة خاصة فيما يتعلق بالكتابة الأدبية»[2]. أما الكتابة العلمية تأخذ منهج آخر قد يقترب من منحى الإحالة الآلية .

فالعنوان باختصار يمثل أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض منتهى فاعلية تلقي ممكنة مما يدعو إلى استثمار منجزات التأويل في الوصول إلى اختراق دلالات العنوان التي ستلقـي بظلالها على النص.

ولتوسيـع معرفتنـا بالعنـوان و بأهميته لابـد أن نتعرف على وظائفه لنتبين دوره نحو ما يعنـونه.

---

[1]- مد مفتاح : دينامية النص - تنظ وا از ، ا ركز الثقا العر ، ا غرب – لبنان ، ط 3 ، 2006 ، ص72 .

[2]- فكري ا زار : مرجع سابق ، ص 15 .

4-2- وظائف العنوان :

إن العناوين ذات وظائف رمزية مشفرة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات و تحديد هذه الوظائف يسهم و لا شك في فهم دلائل النص حتى و إن كان غامضا . و هناك وظائف كثيرة قال بها النقاد مثل[1]:

وظيفة الإعلان على المحتوى

- وظيفة التجنيس (تكشف عن الجنس الأدبي . قصة مسرحية ، رواية.....الخ)
- الوظيفة الإيحائية .
- الوظيفة التناصية .
- وظيفة العرض .
- وظيفة التخصيص و التحديد (خاصة بالنسبة للعناوين الفرعية)
- وظيفة الإحالة
- وظيفة الحث
- الوظيفة التأسيسية
- الوظيفة الاغرائية
- الوظيفة الانفعالية
- الوظيفة الاختزالية
- الوظيفة التكثيفية.

فوظيفة الإعلان عن المحتوى أو التعيين هي الوظيفة الأساسية لأي عنوان لأنها تحمل تسمية هذا العمل المنجز و تحدد بذلك وجوده فتجعله متداولا معروفا متميزا عن غيره من العناوين ، فلا مناص من الوظيفة التعيينية و الإعلان عن المحتوى فهي اسم المولود الجديد الذي هوالنص . وكذلك هي الوظيفة التأسيسية لصيقة بالوظيفة التعيينية بما أن التعيين و الإعلان هو تأسيـس لوجود العنوان.

وليست بعيدة عنهما وظيفة التجنيس لأن مهمتها لا تعدو أن تكون سوى الكشف عن جنس النص إن كان شعرا أو نثر ، و قد لا يكون هذا ممكن في كثير من الأحيان

---

[1] - الطيب بودربالة : مرجع سابق ، ص 26 .

لتشابه العناوين فيما تعنونه فلا تمكننا من معرفة جنس العمل الأدبي من خلال العنوان فقط غير أن العنوان بإمكانه تصنيف الكتاب ضمن مجاله أو تخصصه كالأدب و النقد والفلسفة والتاريخ....الخ .

تدعم هذه الوظيفة وظيفة التخصيص و التحديـد الخاصة بالعناوين الفرعية . فجميعها يعمل على تحديد الدور الأساسي للعنوان وهو الإعلان عما وضع له .

أما الوظيفة الإيحائية فتمتاز بها الكتابة الأدبية عن سواها من الكتابة العلمية و الأكاديمية التي تفرض على العنوان الدقة و التحديد حتى يترجم مضمون ما يعرضه ، في الوقت الذي تصبح فيه الوظيفة الإيحائية مجال تنافس بين عناوين الكتابة الأدبية، بهدف الحصول على أكبر قدر من التعتيم و الغموض الداعي إلى الفضول و رغبة الكشف عن هذه الإيحاءات و ما تحيل عليه داخل النص ، فتصبح محط جذب وإغراء.

تساعدها في ذلك الوظيفة التناصية التي تعمل على بناء مرجعية و خلفية سابقة لوجود العنوان تمنحه عمقا في الدلالة و تكثيفا للمعنى« ولعل عناوين مثل "ليلة وألف ليلة" و "رحلة ابن فطوطة " لنجيب محفوظ أو "مالك الحزين " لإبراهيم أصلان أو " أيام الإنسان السبعة " لعبدالحكيم قاسم تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ارتكازها على الموروث و تناصها معه بما يجعلنا نستنتج أنها تقدم لنا معلومات و تحيل إلى مرجعيات أكثر من مجـرد قـراءة للعناوين»[1].

و يقابل التناص الإحـالة عند ميشال فوكو حيث يرى« بأن العنوان و الأسطر الأولى للكتاب و الكلمات الأخيرة وخاف بنيته الداخلية و شكله الذي يضفي عليه الاستقلالية والتميز ثمة منظومة من الإحالات إلى كتب و نصوص و جمل أخرى مما يجعله ككتاب مجرد عقدة داخل شبكة، أو مجرد جزء من كل و هذه المنظومة من الإحالات تختلف بحسب الأوضاع و المقامات و نوع الكتاب إذا ما كان كتاب رياضيات أو تاريـخ أو غير ذلك »[2].

فالعنوان يقدم رؤية المؤلف من جهة ويتقاطع في الوقت نفسه مع أراء غيره ، فالعنوان يقدم النص ويحيل في الوقت نفسه على نص غيره فهو يشير إلى الموضوع الذي

---

[1]- بسام قطوس ، مرجع السابق ص 163 .

[2] - ميشال فوكو : حفريات ا عرفة ، تر ة : سا يفوت ، ا ركز الثقا العر ، ا غرب – لبنان ، ط3 ، 2005 ، ص ، 23 .

تفسر فيه دلالات النص، و ينور النص الآخر عبر المقارنة ، فهذا الأخير يدرك تشابهها بنيـويا بين العمـل و مرجعـه النصي بالرغـم من اختلافـاتهما على المستويين الوصـفي والسـردي[1] .

نجد أن الوظيفة الاختزالية تعمل بالموازاة مع الوظيفة التكثيفية حيث أن الأولى لا تقتصر على الاحتفاظ بأقل قدر من الألفاظ فقط بل إنها تهدف إلى تكثيف الدلالة ، وهذا ما تعمل من أجلـه الوظيفـة الثـانية .

أما وظيفة الحث فتتكامل مع وظيفة الإغراء لأن العنوان إذ يحث القارئ بجذبه نحو العمل الأدبي فهو يغريه بقراءته تحت قوة تأثير العنوان و إغراءاته ، مع جهله بما يخفيه .

« فهو ينشط قدرة الشراء لديه و يحرك فيه فضول القراءة ، فهو ذو قيمتيـن ، قيمة جمالية تقتضي الوظيفة الشعرية وقيمة تجارية سلعية تنشطها الطاقة الاغرائيـة الدافعة للكشف عن غموضه و غرابته»[2].

وهذا الإغراء الذي يمتلكه العنوان حتما نتيجة الانفعال الذي وجد صداه لدى المتلقي . فالوظيفـة الانفعالية للعنـوان بحوزتها أيضـا سلطـة التأثير على المتلقي عبر لعبة الحـروف و الكلمـات .

إن وظائف العنوان المتعددة في حقيقتها تتمحور حول أربعة وظائف أساسية هي الوظيفة التعيينية و الوظيفة الاحالية (التناصية) والوظيفة الإيحائية و الوظيفة الإغرائية .هدفها الأساسي امتلاك القارئ والاستحواذ عليه .

أما إذا أتينا إلى أسماء السور فلا نجدها تحتاج إلى كل هذه الوظائف و ذلك لخصوصية النص القرآني فهو نص مقدس تلاوته واجبة على المسلم ، مأجورا عليها بالثواب من المرسل و هو المولى عز و جل و قد جعل القرآن شافعا لتاليه يوم القيامة ، فلإغراء بقراءته إذن ليست وليدة التسمية لا إلى القرآن ككل و لا إلى أسماء سوره ، وإنما راجعا لكل ما ذكرناه سابقا .

[1]- مايكل ريفاتر : دلائليات الشعر ، تر ة : مد معتصم ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1 ، 1997 ، ص164-165 .

[2] - عبد الحق بلعابد : عتبات – جيرار جانيت من النص إلى المناص – الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، لبنان – الجزائر، ط 1 ،2008 ، ص 85.

كما أن النص القرآني متفرد في وجوده لا يخضع إلى سوق منافسة و كذا وظيفة التجنيس فالقرآن الكريم لا يصنف ضمن أي جنس من الكتابة غير أنه كتاب ا وآخر ما أنزل على آخر رسله عليهم الصلاة و السلام .

و مع هذا فإن أسماء السور تقبل بعض وظائف العنونة كالوظيفة الانفعالية و الاختزالية و التكثيفية والإحائية لما تملكه من قـوة التأثير و كثـافة الدلالة و اختزال المعنى بشكل يعجـز العـقل البشري على كشـف أسراره كأن تسمى السورة باسم حرف كسورة "ق "و ص".

3-4- بين العنونة والتسمية :

إن مناقشتنا لمبحث التسميـة والعنونـة غايته إيجاد المساحة المشتركة بينهما لضرورة منهجيـة يطـرحها البحث من وجهتين الأولى أن أسماء سور القرآن الكريم لم يرد وأن قيل عنها عناوين أو تجاوز في التعامل معها على أنها كذلك .ومن وجهة ثانية هل بالإمكـان أن نسحب إجراءات دراسة العنوان على أسماء سور القرآن الكريم ؟ وبالتالي فماهي العلاقة بين التسمية والعنوان ؟

« ثمة نقطة تلاقي بين العنونة والتسمية فالعنونة في جانب منها تسمية والتسمية فيها جانب عنوني ... ومثلما يشكل الاسم أو يتوخى منه أن يشكل سمة دالة على المسمى فإن العنوان كذلك يشكل أو يتوخى منه أن يشكل سمة دالة على المعنون »[1].

فنقطة التلاقي بينهمـا هـي أن كـل مـن العنـوان و الاسـم علامـة تحيـل على شيء ما. وإّذا نظرنا إلى أراء النحو في اشتقاق الاسم نجد أن أهـل البصـرة ذهبـوا إلى أنه مشتق من السمو وهو الارتفاع لأنه يدل على مسماه فيرفعه ويظهره وذهب الكوفيون إلا أنه مشتق من الوسم وهو العلامة لأنه علامة على مسماه[2] .

وسواء كان الاسم مشتق من السمو أو الوسم فإن المعاني التي يتضـمنها لغويـا ذاتها وجدناها أثناء تعرضنا للتعريف اللغوي للعنوان . وهذا ما سـيرفع الحـرج عنـا ونحن نتعامل مع أسماء السورة على أنها عناوين يمكن دراستها سيميائيا بهدف كشف دلالاتها والمعاني التي تنطوي عليها ، مما يسهم في فهم النص القرآنـي . إذ أصـبح العنوان نصا موازيا للنص الذي يعنونه .فالأسماء كالعناوين تكتنز علامات إيحائيـة و حمولات دلالية « فهي تظهر أبعاد الثقافـة والحضـارة ، وتصـبغها بصـبغتها ، وتطبعها بطابعها»[3] .

« لذا كان العرب يسمون ما يعرفون فقط ويمتنعون عن إشغال لغتهم فيما لا يحضرهم ولا يحضرونه فكان إلههم كائن إحيائيا في حياتهم اليومية وكانت أسماؤه هي أسماؤهم .فلم يعرفوا الميتافيزيقا بل يتعاملون مع هو كائن وموجود في

---

[1] - بسام قطوس : مرجع السابق ،ص42 .

[2] - شهاب الدين أ القياس بن يوسف : الدر ا صون علوم الكتاب ا كنون ، دار الكتب العلمية ، ب وت – لبنان ، ج 1 ،ص 53 .

[3] - حس يوسف حربوش : التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية ، جامعة ا موك ، الأردن ، 1991 ، ص21 .

بيئتهم المحيطة بهم غير آبهين بما وراء هذه الطبيعة إذ أن اللامعقول حقا هـو أن نطلق اسما حول مسمى لا حضور له »[1] .

فالتسمية إذن تحمل بعدا اجتماعيا و ثقافيا و فكريا يسمح لنا بالبحث فـي ثناياه عن مكتنزات المعاني الخفية والدلالات الإيحائية .

وبهذا نكون قد وجدنا المساحة المشتركة بين الأسماء والعناوين لننظر بعدها فـي امكانية تطبيق إجراءات دراسة العنوان على أسماء السور و أول ما نستأنس بـه مـا تضمنه كتاب " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " .حيث يقول فيه صاحبه الإمام البقاعي : « إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كـل شـيء تظهـر المناسبة بينه وبين مسماه ، عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه . و مقصود كل سورة هاد إلى تناسبـها »[2] وبالتالي لا يوجد ما يمنع من دراسة أسـماء السـور باعتبارها عناوين على متنها وبوصفها علامات تحيل على نصها كما أن هذا الأخير يتجلى من خلالها وتتمظهر دلالاته على مستوى معانيها .

أما السيوطي فإنه يصنف العنوان ضمن أنواع البديع ويرى اشتمال القرآن على هذا النوع البلاغي أو رد قول بن أبي الأصبع في شرحه للعنوان بأن يأخذ المتكلم في غرض ، فيأتي لقصد تكميله و تأكيده بأمثلة و ألفاظ تكون عنوانا لأخبـار متقدمة وقصص سالفة ومنه نوع عظيم وهو عنوان العلوم . بـأن يـذكر فـي الكلام ألفاظ تكون مفاتيح للعلوم ومداخل لها[3].

فالعنوان في البلاغة وإن تقاسم معاني العنوان في المفهوم الاصـطلاحي من حيث أنه علامة تحيل على مرجعية ما من بـاب الإيجـاز فـي الكـلام وإظهار بلاغته . فإنه يختلف في المفهوم العام للعنوان في الوقت الحاضر .

وما ورد عند السيوطي وغيره فإنه شاهد على أن العنوان مفهوم اهتدى إليـه السابقين وان قصروا في فهمه على حدود ضيقة من جهة ومن جهة أخرى أن يـرد

---

[1] - مطاع الصفدي : استرا ية التسمية نظام الأنظمة ا عرفية ، مركز الإ اء القومي ، لبنان ، ط 1 ، 1986 ، ص 199 .
[2] - البقاعي ، برهان الدين ا ا سن : نظم الدرر تناسب الايات والسور ، دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط 3 ، 2006 ، ج 1 ، ص 12 .
[3] - السيوطي، ا افظ جلال الدين : الإتقان علوم القرآن ، ا كتبة العصرية ، لبنان ، 1988 ، ج 3 ، ص 27 .

التمثيل للعنوان في القرآن الكريم على مستوى الآيات وليس على مستوى السـورة كمـا نتعامل معه نحن الآن .

وفي هذا يسوق السيوطي أمثلة « بقوله تعالى(**وَ تْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ لَذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَ نْسَلَـخَ مِنْهَا**) الأعـراف 175 . فإنه عنـوان قصـة بلعامر وأيضا في قوله تعالى (**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ لسَمَاوَاتِ وَ لأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ لْمُوقِنِينَ**...) الأنعـام 75 الآيات فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة[1]».

فما وصل إليه القدماء في دراساتهم للعنوان لم يكن ليصل إلى مستوى ما توصلت إليه الدراسات الحديثة ، و هي في حد ذاتها ما أولت اهتمامها بالعنوان إلا في الربع الأخير من القرن العشرين ولا تزال في بدايتها .

---

[1] - ا رجع السابق، الصفحة نفسها .

5- المنهج في دراسة أسماء السور :

يختلف منهج دراسة العنوان عن دراسة النص لافتقار العنوان إلى السياق غير أن هذا لا يمنع من التعامل معه كـنص تنسحب عليه الإجراءات السيميائيـة في مستوياتـها الثـلاث (التركيبي- الدلالي- التداولي). فهي تشكل مرتكزات ثابتة في كل العناوين تعمل على تحديد مجموعة من العلاقات السيميائية[1]:

1-العلاقة الأولى : وتهتم بتحليل مجمل العلاقات بين مختاف الـدلائل المكونـة للعنوان لذلك فإن هذه العلاقة تدرس وتحال من منظور تركيب العنوان .

2-العلاقة الثانية : مجموع العلاقات بين الدلائل المكونة للعنوان وبين التمثيلات الذهنية لهذه الدلائل ، وتحال هذه العلاقات من منظور دلالي.

3-العلاقة الثالثة : تكمن في العلاقـات التي توجد بين الدلائـل المكونة للعنوان وبين " الأشياء" التي تحيل إليها ، وتدرس هذه العلاقة من منظور مرجعي . إن العلاقة بـين الدلائل المكونة للعنوان وبين الأشياء التي تحيل إليها، لا تكون مباشرة ولكنهـا تتحقـق بواسطة أثر المعنى الذي تحيل إليه دلائل العنوان .

4-العلاقة الرابعة : تهتم بالعلاقات التي توجد بين دلائل العنوان بصـفته قـولا وبـين مستعملي العنوان. ويمكن دراسة هذه العلاقة من منظور تداولي ، حيث يمكـن تحليـل العنوان بصفته قولا ينجزه السارد الذي يحدد الكاتب الضمني انطلاقا من وظائفه على مستوى قدرته على إخبار القارئ وإقناعه و إثارة اهتمامه لدفعه لإنتاج رد فعلي قراءة النص والتموضع منه.

إن دراسة العنوان تتم من خلال هذه العلائق التـي تتمثـل فـي المسـتويات : المستوى التركيبي - المستوى الدلالي- المستوى المرجعـي- المسـتوى التـداولي ، فالمستوى المرجعي لا تتأتى دراسته إلا من خلال المستوى الدلالي وبهذا فـإن مستويات الدراسة ثلاث كما سبق ذكره. وهذا ما سنطبقه في مقارباتنا السـيميائية لأسماء السور.

[1] - عبد المجيد نوسي : التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، شركة النشر والتوزيع – المدارس – المغرب ، ط 1 ، 2002 ، ص 111 .

وهذه الأبعاد الثلاثة انبثقت عن مفهوم بورس للعلامة ، فالبعد الأول هو بعد الممثل أو الدليل باعتباره دليلا ، والبعد الثاني هو بعد موضوع الـدليل أي ما يعنيه الدليل أي المعنى ، والبعد الثالث وهو بعد المؤول الذي يجعل الـدليل يحيل على موضوعه لأن قواعد الدلالة تتوفر فيه[1].

« فالبعد التركيبي هو بعد أولي سواء تعلق الأمر بالـدلائل اللسـانية أو غير لسانية ، ففي اللغة يتشكل من فونيمات (الأصوات) ومورفيمـات (وحـدات صرفية) ووحدات معجمية وهذه الوحدات تخضع لقانون اللسان الذي تنتمي إليه وانطلاقا منه يصبح لتركيب هذه الوحدات معنى . أما البعـد الـدلالي والتـداولي فيشكلان بعدا ثانويا لأن الأول يهتم بالمعاني في علاقاتها بالسياق والثاني يهتم بقواعد التأويل . ولابد القول هنا بأن المعاني لا تمدنا بها اللغة بوصفها أوليـة أو الأشياء بوصفها ثانوية ، وإنما تمدنا بها الثالثية أي الفكر الـذي هـو موضـوع التداولية و إذن فلا وجود لعلم الدلالة بدون تداولية [2]» .

فهذه الأبعاد (التركيبي ، الدلالي ، التداولي)هي التي ستؤسس منهج دراسـة العنوان التي سنطبقها في مقاربتنا السيميائية لأسماء السور في القرآن الكـريم ، حيـث تسمح لنا بالاقتراب من مضامين النص لأنها تكتنز على الكثير من دلالاته ، فهي مفاتيح تأويليه تساعد على تحديد مقاصد كل سورة على حدا وحسب ، بل إنها قـادرة علـى تفسير سر وجود بعض الموضوعات المتناولة في عدد من السور يبدو للوهلة الأولى أنها شيء من التكرار كأخبار بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام ، ولكنه ليس كـذلك فكل تكرار يتفرد بقصد جديد يختلف عن سابقه .

فمقاربة اسم السورة سيميائـيا هي محاولة لاستنطاق العلامة الأولى للنص القرآني للكشف عما تكتنزه من دلالات تساعد على فهم البنية العميقة لمتن السورة كما يساعد هذا الأخير في تعرية العنوان وتبيـان سر اختياره .

سنعمد من خلال المستوى التركيبي النظر في المكونات الصوتية لاسم السورة بما تسمح به هذه المكونات من تركيبات دلالية تضع أمامنا الاحتمالات الممكنة لهذه الوحـدة

---

[1]- حنون مبارك : مرجع سابق ، ص 81 -82 .

[2] - عبد اليد نوسي : مرجع سابق ، ص 134 .

« و يتعالق المستوى التركيبي مع الدلالي بتتبع تمظهر هذه الاحتمالات في ثنايا النص، لأن البنية الدلالية شيء ينجزه القارئ بعملية فرز من خلال دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص وعباراته بحثا عن النماذج[1]» . ويعنى البحث الدلالي و بحث التراكيب بظاهر التواصل دون اعتبار لعلاقتها بالانسان .و هدف علم الدلالة هو شرح العلاقة بين العلاقات التواصلية و المفاهيم التي تشير إليها .

أما علم التراكيب فيدرس أشكال الارتباط بين العلامات في نظام تواصلي معين مع الالتزام بالتحليل الشكلي (أي دون اعتبار للمعنى)[2] .

« فالعلاقة بين العنوان ونصه قائمة على التأثيـر و التأثر، تأثير النـص الأول (العنوان) في النص الثاني (المتن) ومن ثم تأثير النص الثاني (المتن) في النص الأول (العنوان) ، إذ يضعنا العنوان ضمن قنوات وأفهام احتمالية تظل تمارس تأثيرها في موقفنا من النص ، و تسوق القارئ إلى احتمالات تأويلية دون غيرها لا يستطيع أن يتجاوزها إلا بعد أن تدخل تأثيرات المتن ، حيث تبدأ في داخل المتلقي عملية تفاعل و صراع و انزياحات مفهومية و تنتصر فيها ادراكات و تأويلات على غيرها ، و تتراجع تأويلات و احتمالات لصالح غيرها من خلال تفاعل متبادل يظل العنوان مرسلا لأضوائه التي زودنا بها في البداية، ويأخذ المتن في تزويدنا بإشعاعاته الجديدة التي موقعها بإزاء العنوان ، لتحدد لنا في نهاية المطاف التأويل المناسب والاحتمالات التي يسهم فيها العنوان والمتن معا[3]».

وبعد أن تنكشف دلالات التسمية نحاول رصد أثرها و تلمس صدى معانيها في المتلقي من خلال قدرة العنوان في تجليه لمضامين النص وما يمكن لهذه المضامين من استثارته في نفسية المتلقي .

1 – روبرت شولز : سيمياء النص الشعري ، ترجمة : سعيد الغانمي ، اللغة والخطاب الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب –لبنان ، ط 1، 1993 ، ص 111 .

2 - ميلكا إفيتس : اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة : سعد عبد العزيز و وفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى، مصر ، 2000 ، ص 352 .

3 – سامح الرواشدة : منازل الحكاية – دراسة في الرواية العربية – دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 2006 ، ص 134 -135 .

« لا ليقيدها المتلقي بتصور مجتاب من بطون المعاجم ، و إنما للتفاعل معها بفتح أبوب خياله لها ، لتحدث في نفسه أثرها الجمالي . و على هذا تصبح قيمة النص فيما تحدثه إشاراته من أثر في نفس المتلقي[1] » .

إن السيرورة السيميائية تشكل عملية انصهارية أي أن الأبعاد المذكورة يجب أن تعمـل (أو تشتغل) كأنها وحدة كاملة ، لأن التعاون بين عنصرين اثنين فقط يخل بنشاط الفكر إخلالا جما ، و قد صور الفيلسوف الألماني كارل أتو بل و هو أحد شراح التصور البيرسي الدليل بالخطاطة التالية[2]:

موضوع المعرفة	الدليل	الواقع المدلول عليه
البعد اللساني التداولي	البعد التركيبي	البعد الدلالي

ويلح آبل في دراسته لأعمال بورس على أهمية الوظيفة الثلاثية ، لأن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ماهو فردي ، بل على ما هو اجتماعي بتطور التجربة الإنسانية ، كما أن المفاهيم تغتنى بواسطة تخزين المعرفة الدائم [3].

بهذا تتكامل المستويات الثلاث في الكشف عما يتضمنه اسم السورة من دلالات تجعله نصا موازيا للنـص يتعالق كل منهما بالأخـر في سبيـل إيصال الرسالة المراد بثها إلى المتلقـي .

[1] - عبد ا محمد الغذامي : تشريح النص – مقاربة تشريحية لنصوص معاصرة ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2 ، 2006، ص 18 .

[2] - الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت ، ص 9 .

[3] - المرجع السابق : ص 10 .

خلاصـــــة :

السيمياء في دراستها لجميع العلامات على اختلافها تتيح للعقل البشري إدراك حقيقة وجوده كما تعينه على الفهم العميق للأشياء من حوله و تفتح له أفق رؤية جديدة لهذا العالم. هذا ما أعاد الحياة إلى النص في وقت سجنته البنيوية بين جدران ألفاظـه فأغلقـت كـل الأبواب التي تفضي خارج حدوده حتى لو كانت هي السر المفقود رغبة منها في الوصول بالدراسات اللسانية إلى العلمية التي تضبطها القوانين .

فالسيميائية تختلف عن البنيوية من حيث عنايتها بـالمعنى و حرصـها علـى أن الـنص علامات لا متناهية تنطوي على إمكانات متعددة للتأويل و استخلاص المتلقي لأنواع غيـر محدودة من الدلالات . لذا بات من الضروري أن يولد النص مـن جديـد حـر طليقا، فكان له ذلك في فضاء السيمياء التي سمحت مستوياتها (التركيبي – الدلالي – التداولي) برؤية متكاملة شاملة للنص من مختلف أبعاده تمنحه الامتداد والحياة من لحظة مولده إلى لحظة لا تعاش إلا في عالم المتلقي ينكشف له فيها من النص ما قدر لـه أن يرى ، و يتمنع النص من الإفضاء بكل ما لديه لا لشيء سـوى لأن المتلقـي مشدود إلى مرجعيته الثقافية و خلفيته الاجتماعيـة ومـا السـيمياء كمـا قـال دي سوسير إلا " دراسة العلامة في ظل الحياة الاجتماعية " .

فالسيمياء إذن ابتداءا من أبحاثه و أبحاث بورس إلى يومنا هذا قد فتحت أفقـا رحبـا للنظر إلى النص واستغلال كل ما يحيط به لفهمه و استنطاق معانيه سعيا إلى فهم أعمق لا يتوقـف عند حد دلالات النص الصريحة و إنما للبحث فيما وراءه وما قبلـه غوصا فـي بنيـاته العميـقة .

و عليه من الجدير بالاهتمام استغلال ما أفرزته السيمياء في دراسة النص القرآني و الوقوف عند عتباته بما يتناسب و خصوصيته الدينية فهو كلام ا لا كلام البشر .

فتوظيف سيمياء العنوان في هذا المجال تكاد تنعدم عند لحظة استكمال هذا البحث لأننا ما استطعنا العثور على مقاربات سيميائية لأسماء السور نجعلها سندا للبحث و عونا له ، هذا ما زاد في حماسنا لخوض هذه التجربة على صعوبتها التي حاولنا تذليل بعض عقباتها من خلال ما عرضناه للنقاش في الوصول إلى مشروعية البحث في مستوى أسماء سور القرآن الكريم . وسنستكمل هذا النقاش في الفصل الثاني.

الفصل الثاني : أسمـاء السور في الدراسات القرآنية

تمهيد

1- السور القرآنية في الدراسات القديمة و الحديثة

2- تعريف السورة و علة تسميتها

2-1- تعريف السورة لغة و اصطلاحا
2-2-أسباب تسمية السور بأسمائها
2 – 3 – الحقول الدلالية لأسماء سور القرآن الكريم

3- تعدد تسمية سورالقرآن

4-أسماء السور بين التوقيفية و التوفيقية

خـــــلاصة

تمهيد :

بعد أن تناولنا في الفصل الأول منهج الدراسة و إمكانية تطبيقه على المدونة ، سنقف عند هذه الأخيرة نتتبع المباحث التي خصصت لها في الدراسات القديمة و الحديثة بخاصة الدراسات القرآنية ، فعلى كثرتها فإن اهتمام جميعها قد انصب على دراسة متن السورة لا على أسمائها و ما ورد من اهتمام بهذا الجانب فلا يعدو محاولة لتفسير سبب التسمية أو النظر في تعدد الأسماء و هل هي توقيفية أم توفيقية .

وبعض هذه المباحث هـو الذي يطرح تساؤلات عن إمكانية تطبيق المقاربة السيميائية على أسماء سور القرآن الكريمة نحاول الإجابة عنها من خلال ما سنقدمه في هذا الفصل.

2-1- السور القرآنية في الدراسات القديمة و الحديثة :

انصب الاهتمام بالقرآن الكريم في بادئ الأمر إلى حفظه من التحريف على مستوى الكتابة والمعنى على حد السواء ، لذا فقد عني العلماء آن ذاك بالنص القرآني من حيث متنه فعمدوا إلى ضبط قواعد اللغة من أجل أن يقرأ القرآن قراءة سليمة ، ثم انجذبوا إلى بلاغة القرآن و سحر بيانه فراحوا يكتشفون سر إعجازه من جهة و من جهة أخرى يستنبطون الأحكام الشرعية من أجل إفتاء الناس بما جد في حياتهم .

وظل القرآن الكريم نبع لا ينضب معينه للعلماء على اختلاف مشاربهم منهم المفسرون والفقهاء والمتصـوفة... وكذا الأدبـاء والشعراء وعامـة الناس كل يأخـذ منه بما فتـح ا عليه .

ومن المباحث التي ظهرت في كتب المتقدمين فيما يتعلق بموضوع بحثنا ما نجده في كتاب "البرهان في علوم القرآن"[1] للزركشي حيث تعرض لتعريف بالسورة والآية و تناول تعدد أسماء السور وسر تسميتها وترتيبها في المصحف الشريف . تكـررت هذه المباحث عند السيوطي في كتابه " الإتقان في علـوم القرآن "[2] بشيء من الاختصار و التنظيم و الشرح . وستظل هذه المباحث تتداول على مر الزمن إلى يومنا هذا .

فغير بعيد عن هذه المباحث نجد بعض المتأخرين ممن يهتمون بالدراسات القرآنية يعيدونها كما وجدت في كتب من تقدمهم ، لغاية تعليمية في أغلب الأحيان مثل: "مناهل العرفان في علوم القرآن" ".دراسات قرآنية " ....وغير هذا كثير .

أما الدراسات الأدبية الحديثة فقد استثمرت هذه المباحث وغيرها بما يتناسب مع ما وصلت إليه الدراسات الحديثة في دراساتها للنص خاصة ، وما يوجد في ثنايا هذه المباحث من عظيم فائدة دالة على جهود العرب والمسلمين في تنبههم لبعض ما أصبح الآن يعد كشفا حديثا، مثلما نجده عند محمد الخطابي في كتابه " لسانيات النص"[3] أثناء دراسته لإسهامات العرب في انسجام الخطاب وما قدمته علوم القرآن من مباحث في هذا المجال هي ذاتها الموضوعات التي سبق ذكرها. وحتى الدراسات الحديثة المتخصصة في

---

[1] - الزركشي، بدر الدين مد بن عبد ا : ال هان علوم القرآن ، قيق : مد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر ، لبنان ،ط 3 ، 1980 ، ص 244 -270 .

[2] - السيوطي ، جلال الدين : مرجع سابق ، ص 143 – 162 .

[3] - مد **خطا :لسان**يات النص – مدخل إ انسجام النص – ا ركز الثقا العرب ، ا غرب -لبنان ،ط 2 ،2006 ، ص 193 – 204 .

علوم القرآن تقف عند هذه المباحث ف " التناسب البياني في القرآن"[1] لأحمدأبو زيد تصدرت هذه المباحث الفصل الأول من الباب الأول لهذا الكتاب ، وفي كتاب نصر أبو زيد " مفهوم النص دراسة في علوم القرآن " [2] تحتل هذه الموضوعات الفصل الثاني من الباب الثاني .

وهذه الجهود على اختلاف مشاربها تصب في بوتقة واحدة وتنهل من ذات النبع سواء مع المتقدمين أو المتأخرين.أما إذا ما أتينا إلى كتب التفسير فلا نجدها اهتمت بالتسمية إلا من حيث تعليل سبب التسمية في بعض السور.

فأسماء السور لم تأخذ حقها من الدراسة لا في كتب المتقدمين أو المتأخرين، و إن كانوا من الذين تناولوا النص القرآني بالمقاربة السيميائية ، كالذي نجده عند عبد الملك مرتاض[3] في تحليله السيميائي لسورة الرحمان لم يـدرس اسـم السـورة وإن كـان قـد استوقفـه اسـم الجلالة "الرحمان " و هو اسما للسورة وأول آية منـها.

فالمقاربـة السيميائية لأسمـاء سـور القران الكريم ، إلى وقت كتابة هذا البحث لم نعثر فيها على مراجع تناولت هـذا موضوع . ويبقى هـذا البحث مجرد محاولة اجتهاد نأمل في ا العون والتوفيق .

---

[1] - أ د أبو زيد " التناسب البيا القرآن ، كلية الآداب بالرباط ، ا غرب ، 1992 ، ص 56 – 67 .

[2] - نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص –دراسة علوم القرآن – ا ركز الثقا العر ، ا غرب – لبنان ، ط6 ، 2005 ، 159 -168 .

[3] - عبد ا الك مرتاض :نظام ا طاب القرآ – ليل سيميائي مركب لسورة الر ان – دار هومة ، ا زائر، 2001.

2- تعريـف السورة وتعـدد أسمائها :

2-1-تعريـف السورة لغة :

ورد في لسان العرب أن السورة هي المنزلة وجمعها سور وسور، والسورة من البناء : ما حسن وطال والسورة عند الجوهري كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى[1].

وسميت السورة من القرآن بالسورة ، لأنها درجة إلى غيرها ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة ، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها ورفض أن تكون سورة القرآن من سورة البناء لأنها لو كانت من سور البناء لقال تعالى في كتابه فأتوا بعشر سور مثله ولم يقل بعشر سور . والقراء مجتمعون على سور وكذلك اجتمعوا على قراءة سور في قوله تعالى (**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ**) الآية 3 سورة الحديد.ولم يقرأ أحد بسور فـدل ذلك على تميز من سورة القـــرآن عن سورة من سور البناء [2].

و إن استدل على عدم إلحاق سور القرآن بسور البناء ، فإن غيره يرى وجه الشبه جليا بينهما ، لما في السورة من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية ، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ، ويقام كل صف منه على صف ، وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية ، و إما لأنها حصن وحماية لمحمد صلى ا عليه وسلم . وما جـاء به من كتاب ا القرآن أشبه بسور المدنية يحصنه ويحميه غارة الأعداء وسطوة الأشقياء [3].

للسورة في العربية معاني أخرى ، فعند ابن الأعرابي سورة كل شيء حده،و سور الإبل كرامها وقيل هي الصلبة الشديدة وبينهما سورة أي علامة [4].

نخلص إلى أن السورة كمفردة معجمية تأخذ معاني: الرفعة ، العلو ، الأحسن والأفضل العلامة والحائط ، وكل هذه المعاني لها وجه من وجوه التعليل إذا بحثنا عن ظلالها في معنى سورة القرآن الكريم .

---

[1] - ابن منظور ، مرجع سابق ، ج 3 ص 365 .

[2] - ا رجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] - الزرقا ، مد عبد العظيم ، مناهل العرفان علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ج 1 ، ص 365 .

[4] - ا رجع السابق ، ج 3 ، ص 366 .

فضلا عما سبق فهناك من يرى أن السورة أخـذت مـن التسـور بمعنـى التصـاعد والتركيب ومنه قوله تعالى (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) الآية 21 من سورة ص[1].

مهما اختلفت معاني السورة فجميعها يحيل على ميزة تسمية أجزاء القرآن بالسورة قد رأينا بعضها عند من نسب التسمية لسور المدينة . ولا يختلف الأمر كثير حين ننظر في باقي المعاني الأخرى ، فالإبل الكريمة تحمل معنى الأفضل والأحسن وهي كذلك سور القرآن ، أما معنى العلامة فبحق ماهي سور القرآن إلا علامات تستوقفنا للتأمل والتدبر في فهم دلالاتها وإيحاءاتها

أما تعريف السورة اصطلاحا فقد قال فيه الجعبري : " حد السورة قرآن يشمل على آي ذي فاتحة و خاتمة و أقلها ثلاث آيا ت " وقال غيره : السورة الطائفة المترجمة توقيفا ، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى ا عليه وسلّم [2].

فالسورة في تعريفها الاصطلاحي هي وصف و تحديد لما هي عليه في كتاب ا ، أما التعريف اللغوي فهو مدعاة لأن يعلل سبب اختيار كلمة السورة كتسمية لأجزاء القرآن ، بمعنى أن التعريف الاصطلاحي لا يأخذ معناه من التعريف اللغوي في شيء ، إلا من باب معرفة المعاني اللغوية للسورة التي تظهر وجه التسمية بها فقط.

وإذ نقف على معنى السورة لأنه يشكل الجزء الأول من اسم كل سورة حيث يرد نكرة يعرف باسم السورة كسورة البقرة مثلا . لذا لابد من الوقوف عند المكون الأول لكل سورة لنرى إذ ما كان سيحمل دلالات أساسية في فهم اسم السورة فيؤخذ بعين الاعتبار أثناء المقاربة السيميائية لأسماء السور على أنها عناوين لها أم لا.

فهل هذا الجزء مرتبط بما هو مضاف إليه فهو نواته و مركزه الذي ستتمحور حوله الدلالات فتلقي بظلالها وإيحاءاتها على اسم السورة ككل ، أم أن ورودها إلى جانب كل أسماء السور لا يعدو و كما يقول الجاحظ أن يقابل لفظة القصيدة إذا ما ضمت إلى عنوانها مثل قصيدة " الطلاسم " لإليا أبو ماضي أو قصيدة " إرادة الحياة " لشابي فهنا لفظة القصيدة تعمل على تمييز جنس العمل الأدبي بأنه شعرا لا نثرا كقولنا أيضا رواية " زقاق المدق " لنجيب محفوظ .

---

[1] السيوطي ، مرجع سابق ،ج 1 ، ص 150 .

[2] - ا رجع نفسه ، الصفحة نفسها .

فالجاحظ يرى تميز القرآن الكريم و مخالفته لما سمت به العرب كلامها ، حيث سمى ا كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة و التفصيل ، سمى جملته قرآنـا كمـا سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، و بعضه آية كالبيت و آخرها فاصلة كقافية [1] .

وعليه فإن المكون الأول لعنوان السورة - أو اسم السورة - و هي لفظة "سـورة" لن نبحث عن دلالتها وظلالها في متن السورة لأنها قد اتضحت أثناء تحديدنا لمعناها اللغـوي و الاصطلاحي ، هذه الدلالات هي صفة تمييزية لجنس النص القرآني فلا هو شعرا و لا هـو نثرا و لا يصنف ضمن أي لون من كلام البشر ، وإنما هو كلام ا المعجز .

وخلاصة القول في كلمة " سورة " أن معانيها لا تفتح أفق القراءة علـى نصـها، إنمـا توضح فقط وجه التسمية .

ولتجزئة القرآن الكريم إلى سور فوائد و حكم جمعها السيوطي في قوله : " الحكمة من تسوير القرآن سورا كون السورة بمجردها معجزة و آية من آيات ا و الإشارة إلى أنى كل سورة نمط مستقل ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته ، و سورة بـراءة تتـرجم عـن أحـوال المنافقين و أسرارهم إلى غير ذلك . و سورة السور طوال و أواسط و قصار ؛ تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، و هي معجزة إعجاز سـورة البقرة ثم ظهرت حكمة في التعليم و تدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها ، تيسـيرا من ا على عباده لحفظ كتابه "[2] .

ففوائد تسوير القرآن تتمثل إذن فيما يلي :

- التيسير على الناس و تشويقهم إلى مدارسة القرآن وتحفيظه ، فلو كان سبيكة واحدة لأعياهم حفظه و فهمه .

- الدلالـة على موضـوع السورة و محور الكـلام فيها لاستقـلال كل سـورة بموضوع بـارز تتضمنه.

---

[1] - ا رجع السابق ، ص 153 .
[2] - ا رجع نفسه ، ص 186 .

- الإشارة إلى أن طول السورة ليس شرطا في إعجازها ، بل معجزة وإن بلغت الغاية من القصر.

- إن القارئ إذا أتم سورة من الكتاب ثم أخذ في غيرها كان له أنشط و أبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله .

- أن الحافظ إذا أتم حفظ السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب ا طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه .

وإذا جئنا إلى أقسام سور القرآن الكريم نجدها أربعة أقسام[1] ، استند العلماء في وضعها إلى قول النبي صلى ا عليه و سلم : (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، و أعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل).

1_ **الطوال :** وهي سبع : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ،يونس.

2_ **المئون :** وهي ما ولي السبع الطوال ، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

3_ **المثاني :** و هي ما ولي المئين و سميت كذلك لأن الأنباء و القصص تثنى فيه.وقد كانت بعد المئون فهي ثوان لها .

4_ **المفصل :** و هو ما ولي المثاني من قصار السور، و سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور باسم ا الرحمان الرحيم .

[1] - إبراهيم الأبياري ، تأريخ القرآن ، دار الكتاب ا صري ، القاهرة ، دار الكتلب اللبنا ، لبنان ، ط3 ، 1991 ، ص 82 .

---

2 _ 2 _ أسباب تسمية السور بأسمائها :

يرجع الزركشي سبب تسمية سور القرآن الكريم بأسمائها إلى إتباع تقاليد العرب في التسمية حيث « أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق ، لإدراك الرأي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ،و على ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم ،كتسمية البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها و عجيب الحكمة فيها[1] ». وهكذا بقية أسماء السور .

إن هذا التعليل لا يمكنه تفسير سبب التسمية في جميع السور لأنه توجد من السور ما احتوت على دواعي تعدد تسميتها فأيها أحق بالتسمية من غيره ، مثال ذلك السور التي سميت بأسماء الأنبياء فالسورة الواحدة منها احتوت قصصا لطائفة منهم ، كما ورد ذلك في سورة هود فقد سميت باسمه مع أن قصة نوح فيها أوعب و أطول على حد قول الزركشي الذي أوعز أن السبب في ذلك أنّ قصص هؤلاء الأنبياء تكررت في سورة الأعراف و سورة هود والشعراء بأوعب منها في سورة هود[2] .

و بذلك يجد مخرجا لهذه المشكلة و أمثالها بإيعاز السبب إلى تكرار اسم هود في السورة التي سميت باسمه أكثر من غيرها في باقي السور فكان التكرار علة التسمية .

و يتساءل السيوطي عن عدم وجود سورة باسم سيدنا موسى مع أنه قد ورد ذكره في القرآن في مواضع مختلفة من سور عديدة خاصة سورة " طه " و " القصص " و "الأعراف " وكذلك الشأن بخصوص آدم عليه السلام فلا توجد سورة باسمه . واهتدى السيوطي إلى جواب

على تساؤله حين وجد عند بعض القراء من يسمي سورة طه باسم " الكليم " ، و سماها الهذيلي في كامله سورة " موسى"[3].

إن تعليل وجه التسمية في سور القرآن الكريم ، إلى مشاكلة العرب في تسميتها ليس حجة على جميع السور و إن وجد البعض الحل في تعدد أسماء السور . كما أن التسمية ليست

---

[1] -السيوطي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 160 .
[2] - ا رجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[3] - ا رجع نفسه ، ص 161 .

بهذه البساطة التي يتخيلها هؤلاء ولا كما يراها بعض المتأخرين حيث جعل الضابط العام في التسمية إلى اشتقاق كلمة واردة في متن السورة و قد تكون أول كلمة منها [1].

ربما كانت علة التسمية أكثر إقناعا مما يراه هؤلاء حين يتغير التفكير نحو سبب وجيـه يمكننا من معرفة وجه التسمية لكل السور ، هذا ما نجده عند أصحاب التفسـير الموضـوعاتي للقـرآن فهم يرون أن كل سورة تعرض موضوعـا واحدا أساسيا يتناسب بالضـرورة مـع اسمها بوجه أو بآخر.

فسورة " هود " التي سبق الحديث عنها يعلل سبب تسميتها باسم سيدنا هود عليه السـلام لما يوجد فيها من تناسب بين استقامة هود عليه السلام و ثباته على الطريـق المسـتقيم وهـو موضوع السورة أو هدفها الذي يتمحور حول الاستقامة و التوازن [2].

هذا التوجه في التسمية تظهر الحكمة منه جلية ، من جهة ومن جهة أخرى يفتح الباب أمام هذا البحث المتواضع في دراسة أسماء السور كعلامات تختفي وراءها دلالات عميقة تكشف عن البنية العميقة للنص القرآني .

كما أن اسم السورة يعتبر النواة التي سيتولد منها الخطاب لأنها تمثل موقعيا المركز المنظم للخطاب لذلك فإنه يتفرع منها . وهذا ما سنحاول الكشف عنه في الدراسة التطبيقية .

و مما سبق عرضه نكون قد تجاوزنا العقبة الأولى من هذا البحث ، حيـث أن النظـرة البسيطة لوجه تسمية السور بأسمائها غير كافية لإظهار الحكمة من التسـمية و الكشـف عـن العلاقة التي تربط اسم السورة بمتنها .

فلو كان الأمر بهذه البساطة لما كانت هناك حاجة لإقحام النص القرآنـي فـي متاهـة المناهج الحديثة التي ينظر إليها البعض بشيء من الحذر و التحفـظ حين يتعلق الأمر بكـلام ا لا بكـلام البشر .

وعليه فإنا نأمل من خلال مقاربتنا السيميائية لأسماء سور القرآن الكريم أن نسترجع للعتبة الأول للنص القرآني نصيبها من الاهتمام كأول علامة تتصدره وهي تسميته عسى وأن

---

[1] - مد عزة دروزه ، القرآن اليد ، منشورات ا كتبة العصرية ، ب وت ، ص 116 .

[2] - عمرو خالد ، خواطر قرآنية ، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 168 .

يصبح اسم السورة و بمجرد الوقوف عليه يمكن المتلقي من دلالات النص فيختصرها له عبر إيحاءات التسمية ، فتبقى راسخة معانيها تتجلى له من خلال هذه المرجعيات البسيطة في التسمية ، لتعيده في كل لحظة تأمل فيها إلى مضامين النص و مقاصده . فكأنما اسم السورة صار رمزا مجسدا للمعاني التي أراد النص أن يقولها .

2 – 3 – الحقول الدلالية لأسماء السور:

أردنا الاستعانة بالحقول الدلالية لأسماء سور القرآن الكريم من أجل الإحاطة و لو بشكل بسيط بطبيعة التسمية في القرآن الكريم ، و ذلك بمعرفة ما يمكن أن تنقسم إليه أسماء السور مشكلة هذه الحقول و طبيعة العلاقة التي ستجمع بينها لأنها ستمنحنا معرفة حول طبيعة التسمية في القرآن و يتبين لنا أي الحقول استأثر بأكثر الأسماء ، و منه نستنتج محور اهتمام الخطاب القرآني من خلال التسمية .

و عليه يمكننا تقسيم أسماء السور إلى الحقول الدلالية التالية :

1 – **الحقل الدلالي لأسماء يوم القيامة :**

القيامة – الزمر – فصلت - الزخرف – الدخان – الجاثية

الطور – الواقعة – الحشر – الصف – الحاقة - النبأ

النازعات – الانفطار - الانشقاق – الغاشية – الزلزلة

القارعة – الصف – الصافات – الذاريات – المرسلات – التكوير

العاديات – الطارق .

2 – الحقل الدلالي لأسماء ا الحسنى :

فاطر – غافر – الرحمان – الأعلى

3 – **الحقل الدلالي لأسماء العلم من الأنبياء و الصالحين :**

- إبراهيم – محمد- نوح – يونس – هود – يوسف – آل عمران

- لقمان – الأنبياء – مريم . أما اسما سورتي المزمل و المدثر فهي صفات للنبي عليه الصلاة و السلام .
- 4 – **الحقل الدلالي لأسماء المعجزات :**
- البقرة – المائدة – الإسراء – الكهف – النمل – الفيل .
- 5 – **الحقل الدلالي للأسماء الدالة على الزمن :**
- الضحى – الليل – العصر – الجمعة – الفجر
- 6 – **الحقل الدلالي للأسماء الدالة على دلائل القدرة : الخلق و الظواهر**
- النحل – النجم – القمر – النور – الحديد – العنكبوت .
- الرعد – الروم – الجن – البلد – العلق – الكوثر – الأنعام .
- الإنسان – التين – الفلق – الناس
- **7- الحقل الدلالي للأسماء الدالة على أصناف البشر :**
- المؤمنون – الكافرون – المنافقون – الشعراء – المطففون – الأعراف
- النساء – الهمزة – كما يمكن إضافة كل من أسماء سور : الروم – سبأ - قريش – الحجر ، باعتبارها أسماء أقوام نستطيع تصنيفهم ضمن الأصناف السابقة وكذلك هي سورة الأحزاب .
- 8– **الحقل الدلالي للأسماء الدالة على الطاعة و الأحكام :**
- الحج – التوبة - السجدة – الفرقان – الطلاق - التحريم – الشورى - الأنفال .

بقيت بعض الأسماء التي تعذر علينا جعلها ضمن هذه الحقول ، ذلك أنه لا يوجد علاقة واضحة تربطها بإحدى هذه الحقول الدلالية .

ما نلحظه على هذه الحقول الدلالية بشكل عام ، بساطة التسمية و بعدها عن الغموض و الإبهام فأغلب هذه الأسماء معروفة عند أقل الناس معرفـة، إلا البعض منها كبعض أسمـاء يوم القيامة .

قمنا بتوزيع الأسماء على تسعة حقول انطلاقا من الدلالة العامة التي تجمع بين الاسم وموضوع السورة فوجدنا أن الحقل الدلالي لأسماء يوم القيامة استأثر بأكبر عدد حيث بلغت أسماء السور فيه ثمانية و عشرين اسما ، وذلك لاهتمام القرآن بالتذكير بعالم الغيب الغائب عن الناس لشدة إنكارهم له .

و لأنه لب الإيمان و محور العقيدة و لا يصح التوحيد إلا به ، و سنرى ذلك جليا في دراستنا لسورة البقرة .

فيوم القيامة و ما يقع فيه من أحداث هو الذي سيحدد مصير الإنسان إما لسعادة أبدية أو شقاء أبدي . إنه يحدد غاية الإنسانية من وجوده فلم يخلق عبثا ليفعل ما يشاء ، إنه التذكير المستمر بوجود الخالق العظيم ذي العرش المجيد .

3_ تعدد أسمـاء السور :

إن المصاحف المتداولة اليوم أغلبها عند جمهور العلماء وعامة الناس تلزم ذات التسمية مع جميع أسماء سور القرآن بمعنى أننا لا نجد اختلافا في تسمية أسماء السور بين هذه المصاحف ، غير أن هذا لا يعني عدم وجود أسماء أخرى لأسماء السور و إن قل تداولها في الوقت الحاضر فهي حاضرة في كتب الدراسات القديمة .

فسورة " الفاتحة " مثلا جمع لها السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن " خمسة و عشرين اسما، و بين علة هذه التسمية و التي هي بمثابة الوصف لها ، أو ذكرا لفائدتها ، نذكر من هذه التسميات : أم القرآن ، السبع المثاني ، الحمد ،الوافية ، الكنز ، الكافية ، الدعاء الكنز ، النور ....الخ [1].

فهي الكافية لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها و لا يكفي عنها غيرها و كان هذا منهج السيوطي مع أغلب الأسماء التي ذكرها فقال في سورة البقرة أنها فسطاط لعظمها و أنها سنام القرآن و سنام كل شيء أعلاه ، و سورة "المائدة " بالمنقذة لأنها تنقذ صاحبها من العذاب و سورة " النحل " بسورة النعم لما عدد ا فيها من النعم [2] .

فالسيوطي و إن ذكر هذه التسميات المختلفة لأسماء السور نجده يتخذ من أسماء السور الموجودة في مصحف اليوم أصلا في التسمية يقابلها بما ورد من أسماء أخرى هي بمثابة الوصف لها و هذا ما يدل على أن هذه الأسماء هي المتفق عليها أكثر من غيرها لما لها من صحة ورود عن النبي - صلى ا عليه وسلم - فيما روي عنه من أحاديث و مواقف يذكر فيها أسماء السور .

و السيوطي نفسه في "كتابه أسرار ترتيب سور القرآن "[3] يحتفظ بهذا الأصل في التسمية مع جميع السور عدا تسع سور سماها باسم أول كلمة من السورة إلا سورة "الإسراء " وسورة " محمد" .

الضحى : ألم نشرح محمد : القتل النبأ : عم

---

[1] - السيوطي ، مرجع سابق ، ص 151 – 155 .

[2] - ا رجع نفسه ، ص 155 – 165 .

[3] - أنظر جلال الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، قيق : عبد القادر أ د عطا ، دار سلامة ، تونس ، 1983 .

البينة : لم يكن الملك : تبارك الإسراء : بني إسرائيل

المعارج : سأل القلم : ن المسد : تبت

فالتسمية بأول كلمة من السورة لو كانت حجة على غيرها في التسمية لوجب إعادة تسمية جميع السور بأول كلمة منها حتى أسماء السور الثابت صحة تسميتها عن الرسـول - صلى ا عليه و سلم - في مواضع عديدة حين بين فضل هذه السور .

و حتى نضع تعدد التسمية موضعها يجب أن نقف عند سؤال الزركشي و جوابه في تعدد أسامي السور؛ هل هو توقيفي أو بما يظهر من مناسبة ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن من أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها. وهو بعيد[1] .

فالزركشي يجد بأن أسماء السور توقيفية لأن اشـتقاق أسـماء للسـور انطلاقـا مـن مضامينها أمر يسير للفطن إذا أراد ذلك .

إن طرحنا لقضية تعدد أسماء السور من باب الرد على حجة من يرى أن هذا التعدد يفقد المقاربة السيميائية أهميتها لأن هذا التعدد في التسمية يشكك في نتائج البحث ويشير إلى الذاتية التي تم بها اختيار اسم دون غيره . والجواب على ذلك أشرنا إلى بعض منه حين وجدنا اختلاف التسمية أساسه وجهين إما اختيار أول كلمة من السورة أو اشتقاقه من مضامين السور و حينها سيوجب علينا أن نجد أسماء لا نهاية لها .

فضلا على أن الذين يذكرون هذه التسميات ينطلقون من هذه التسمية الموجودة في مصاحف اليوم وهذا ما يدل على تداولها أكثر من غيرها هذا ما يمنحنا الاطمئنان إلى أن أسماء السور علامات دالة على متن السور لم توضع عشوائيا وإنما مثل ما أراد المولى عز و جل ذلك . و قد تعد هي كذلك وجه من وجوه الإعجاز هو" إعجاز التسمية " أو لنقل " إعجاز العنونة ". فالقرآن كتاب ا الذي حفظه من كل شيء لقوله تعالى : « **إنا نَحْنُ نَزلْنَا لذكْرَ وَإِنا لهُ لحَافِظُونَ**) الآية 09 من سورة الحجر ، وقوله : « **ما فَرطْنَا فِي لكِتَابِ من شَيْءٍ**)الآية 38 من سورة الأنعام.

---

[1] - الزركشي ، مرجع سابق ، ص 270 .

وبفرض أن أسماء السور ليست جميعها توقيفية و بعضها اجتهاد فإن هذا لا يمنع من مقاربتها السيميائية فكل اسم إلا وتربطه علاقة بما سمي به لوجه من الوجوه كما قال بذلك الزركشي .

وعليه لن يقلل من أهمية المقاربة السيميائية لأسماء السور سواء تعددت الأسماء أم لا ، بما أننا سنختار مدونتنا و هي القرآن الكريم كما هو متداول اليوم عند عامة المسلمين حتى يتسنى لنا الوقوف على صدى التسمية عند المتلقين .

4_ أسماء السور بين التوقيفية و التوفيقية :

إن ما وجدناه في مبحث تعدد أسماء السور هو ما يدعونا للبحث في أسماء السور إذ ما كانت توقيـفا من الرسـول - صلـى ا عليه و سلم- أم هي اجتهـاد من الصحـابة رضـوان ا عليهم .

إن ما يرفع عنا حرج القول بتوقيفية أغلب أسماء سور القرآن الكريم إن لم نقل كلها وجهين : الوجه الأول ما ورد عن - النبي صلى ا عليه وسلم - في ذكر فضائل بعض السور بأسمائها المتداولة اليوم مثال ذلك قوله - صلى ا عليه وسلم - :

_ « اقرؤوا القرآن . فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه . اقرؤوا الزهراوين :البقرة و آل عمران . فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان . أو كأنهما غيبتان . أو كأنهما فرقان من طير صواف . تحجان عن صاحبهما. اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة . و تركها حسرة .و لا يستطيعها البطلة»[1].

_ « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[2] .

_ « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ،عصم من الدجال»[3].

أيضا ما ورد عن الصحابة رضوان ا عليهم و ما رأوه من النبي صلى ا عليه وسلم حيث يروي لنا حذيفة رضي ا عنه قائلا : " صليت مع النبي صلى ا عليه و سلم ذات ليلة فافتتح سورة البقرة فقلت يركع عند آل عمران ثم مضى فقلت يصلي بها ركعة فمضى فقلت يركع ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح المائدة......." إلى نهاية القول .

فكثيرة هي إذن أسماء السور التي اتفق على تسميتها في عهد النبي صلى ا عليه وسلم كسبع الطوال و الحواميم و المفصل.

كما أن كتب الدراسات القرآنية أثناء تناولها لترتيب سور القرآنية إذ ما كان توقيفي أم توفيقي

[1] - أبو الحسن مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، م 3 ، ص 78 – 79 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 80 .
[3] - المرجع نفسه ، ص 81 .

هي في ذات الوقت تتناول في جانب منها موضوع التسمية، مثلما رأينا ذلك عند السيوطي في كتابه " أسرار ترتيب القرآن" .

وهذا السعي في إثبات توقيفية ترتيب السور فيه استئناس إلى توقيفية الأسماء أيضا .

و كذلك الشأن مع كتب الرواة الحديث، فهي أيضا أوردت أغلب أسماء السور بالتسمية التي هي عليها اليوم إلا البعض منها تذكره باسم أول كلمة من السورة ، وهذا أثناء ذكرها لما جاء في حق هذه السور من شرح و تفسير ، مثال ذلك صحيح البخاري[1] .

وهذا السعي في إثبات توقيفية ترتيب سور فيه استئناس إلى توقيفية الأسماء أيضا . مما قد يسهم في إثبات انسجام الخطاب القرآني على مستوى السور و أسمائها .

مما سبق عرضه نصل إلى أن أغلب السور توقيفية في تسميتها. و إن كان البعض منها توفيقيا فإن هذا لا يمنع من مقاربتها سميائيا كما سبق استنتاجه . بما أن التسمية في كل أحوالها مشتقة على رأي الزركشي من معاني السور لا عشوائيا كما اتفق .والزركشي يؤيد توقيفية التسمية لأنه في قوله السابق ينفي أن تكون التسمية يظـهر من المناسبات قائلا عن هذا الاحتمـال بأنه " بعيد " لينفي بذلك توفيقية أسماء السور .

فالمقاربة السيميائية لأسماء السور في القرآن الكريم جديرة بالبحث لما ستكشفه من بنيات عميقة يتضمنها النص القرآني ، فضلا عن أنها ستعطي لأسم السورة أهميته في فهم النص و تعرية دلالاته و الوقوف على صدى معانيه في المتلقي، وما يمكن أن يبوح به مع بداية قراءة النص ، و ما سيسمح به من الاحتفاظ بإيحاءات و دلالات مختصرة أوجزها الاسم أو رمز لها . فاسم السورة حامل للمعاني حين يغيب النص فاتحا بابه أمام كل التوقعـات .

---

[1] - البخاري ، أبو عبد ا محمد بن إسماعيل ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، م 2 ، ص 20 – 223 .

الخلاصة :

نخلص إلى أن المقاربة السيميائية لأسماء سور القرآن الكريم لا يوجد ما يمنع من البحث فيها، بما أن الأسماء بمثابة العناوين لها فهي تحمل مضامينها و دلالاتها ، وتمثل العتبة الأولى للنص وجب الوقوف على دلالاتها لتدارك هذا التجاوز الذي تحفل به الدراسات القرآنية على اختلافها ، غير مدركة لأهمية التسمية .

فاسم السورة ليس بهذه البساطة التي تدعو لإيجاد العلاقة الرابطة بينه و بين متن السورة فسمحت له بتصدرها . وإنما ترجع أهميته في كونه المحور الأساسي الذي تتمحور حوله كل الدلالات و القطب الذي تتجمع حول مداراته كل المعاني فيغدو رمزا للحقيقة الكبرى حقيقة وجود الإنسان و غايته من هذه الحياة .

و أسماء السور سواء تعددت أو كانت توقيفية أم توفيقية فهي قابلة للدراسة كمدونة متداولة عند متلقين لا تحمل لهم أي اختلاف .

الفصل الثالث : المقاربة السيميائية لسورة البقرة والمعوذات

تمهيد :

3- المقاربة السيميائية لسورة البقـرة

3-1-المستوى التركيـــــبي

3-2-المستوى الـــــــدلالي

3-2-1-الغيب والشهادة – الموت والحياة

3-2-2-السمع والطاعة – السمع والعصيان

3-2-3-المستوى التـــــداولي

3-3-1 - اليهود والعرب

3- 2 – المقاربة السيميائية للمعوذات : سور(الإخلاص ، الفلق ،الناس)

2 – 1 – المستوى التركيــــبي

2-1 – 1 – سورة الإخلاص

2 – 1 – 2 – سورة الفلق

2 – 1 – 3 – سورة الناس

2 – 2 – المستوى الــــدلالـي

2– 2 – 1 – سورة الإخلاص

2 - 2 – 2 – سورة الفلق

2 - 2 – 3 – سورة الناس

2 – 3 – المستوى التـــــداولي

الخلاصـة

تمهـيـ ـد:

وبعد أن حددنا الإطار المنهجي للمقاربة اللسانية السيميائية من خلال إجراءات سيمياء العنوان التي سنتخذها منهجا لدراسة أسماء سور القرآن الكريم ، وهو ما يمثله الجانب التطبيقي من البحث بعد فصلين من التنظير كان الفصل الأول لضبط بعض المفاهيم الأساسية والفصل الثاني في الكشف عن الدراسات القديمة والحديثة وما تناولته من قضايا التسمية في القرآن الكريم .

ولأن القرآن الكريم يحتوي على أربعة عشر سورة بعد المائة فإنه يتعذر علينا في بحث متواضع كهذا أن نلم بدراستها جميعا. لذا كان اختيار سورة البقرة من بداية سور القرآن الكريم و من خواتم سوره (سورة الإخلاص و سورة الفلق وسورة الناس)، ذلك أن اسم سورة البقرة ظل مبعث تساؤل لدينا أن تسمى أطول سورة في القرآن الكريم ، وقد تضمنت كل ما جاء به الدين الحنيف وقيل في فضلها الشيء الكثير باسم " البقرة " ؟ فكيف يصبح هذا الحيوان الأليف معجزة إلهية ؟ ولماذا تصدرت هذه العلامة بالذات بداية المصحف الشريف ؟ ما هي الدلالات والإيحاءات التي يمكن أن تحملها والإشارات التي يمكن أن تتوارى خلف هذه التسمية ؟

أما سورة الإخلاص و سورة الفلق وسورة الناس ، فذاك ما حفظناه منذ الطفولة و بقينا نردده في كل حين حصنا لنا من كل شر دون أن نعرف سرما نتلفظ به أو حقيقة ما تحمله الكلمات. و للإجابة عن هذه التسـاؤلات و البحث عن سر الكلمات كان هـذا الاختيـار.

زيادة على ذلك رغبتنا في معرفة مدى انسجام النص القرآني من حيث اختياره لتسمية سوره ، مثلما كشف العلماء عن انسجام سور كلحمة واحدة ، دفعتنا لأن نخص فاتحة التسمية في القرآن الكريم و خاتمتها بالدراسة لنتلمس إن كان سيتحقق هذا الانسجام أم لا و لو بشكل جزئي لأننا لم نتمكن من دراسة كل أسماء السور وإنما اكتفينا ببداية التسمية و نهايتها فقط لذا فنحن لا نعمم النتائج و إنما نود أن نرصد مؤشرات هذا الانسجام لا غير.

المستوى التركيبية لسورة البقـ ـ ـرة :

إن إجراءات سيمياء العنوان قد اهتمت بكل الأنساق الدالة المحققة في شكل نصوص أو في شكل عناصر إشارية دالة ، إلى جانب العناصر الأخرى التي تشتغل على مستوى الخطاب بطريقة خاصة مثل الأيقونات التي تظهر على صفحات الغلاف أو داخل المتن النصي أو عناصر ترقيم الفصول و الأقسام والبياض الفاصل بين الفصول و الفقرات[1].

لذا وجب الوقوف عند المستوى الأيقوني لكتاب الله في محاولة لتتبع هذه الأنساق الدالة بمختلف أشكالها لنرصد مؤشراتها الدلالية التي تحيل على مستوى الخطاب ، فالقرآن الكريم متفرد عن غيره في كل شيء بدءا من مستواه الأيقوني فهو لا يشبه أي كتاب بشري ، فقد اشتمل على سور بلغت الأربعة عشر بعد المائة ، أفتتح بسورة الفاتحة و ختم بسورة الناس لا يوجد مثيلها في كتاب غيره شكلا ومضمونا .

المستوى الأيقوني : يختلف القرآن الكريم عن غيره من الكتب في طريقة رسمه أو شكله الخارجي بحيث يبقى متميزا عن سواه ، مما يتعذر علينا التطلع إلى القرآن الكريم في جانبه الأيقوني و محاولة استثمار هذا الجانب في فهم مضامين النص القرآني إلا من ناحية أنه التفرد في كل شيء .

بما يرفع النص القرآني عن وجه المقارنة بغيره على أي حال من أحواله فقداسة القرآن الكريم ومنزلته عند كل مسلم ، هي التي تحمل القارئ على تلاوته دون أن تكون هناك حاجة لتأثير الشكل الأيقوني لكتاب الله ذلك أنه كتاب هداية وعبادة في ذات الوقت ، كما أن المولى عز وجل قد أثاب قارءه الأجر الكثير وجعل القرآن شافعا له يوم القيامة لقول النبـ ـي– صلى الله عليه وسلم - : « **يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما** » فمكانة القرآن في نفوس المسلمين هي التي تغري بقراءته لا تسميته بالقرآن أو الزخارف الموجودة على صفحاته.

---

[1] - عبد المجيد نوسي : مرجع سابق ، ص 108 – 109 .

والقرآن الكريم لا يخضع لقانون العرض الذي يخضع له أي كتاب يجد مؤلفه أنه أمام منافسين كثر، لذا هو بحاجة إلى استثمار كل الإمكانات من أجل جذب القارئ إليه بداية من العنوان وتشكله التيبوغرافي إلى الصورة التي تشكل واجهة الكتاب . فهذه العناصر في أي كتات عادي أو أي كتاب بشري تمثل علامة إخباريه، في الوقت الذي يتفرد القرآن الكريم من الناحية الأيقونية ببساطه شكله المتميز، والذي يعتمد على الزخرفة الإسلامية سواء من حيث الغلاف الخارجي والذي أحيانا يزين ببعض الآيات القرآنية وبكتابة اسم الجلالة " " أو على مستوى صفحاته التي يتم تأطيرها أيضا بزخرفة ويوضع اسم السورة هو الآخر في إطار مستطيل مزخرف يكتب على يمينه في بعض المصاحف تريب السورة وعلى يساره عدد آياتها ، و تتصدر" البسملة "**بسم ا الرحم الرحيم**" كل سور القرآن الكريم.

وذكر أبو الحسن الحرالي سر الاستفتاح بالبسملة في قوله :« لما أظهر ا سبحانه حكمة التسبيب وأرى الخاق استفادة بعض الأشياء من أشياء أخرى متقدمة عليها كأنها أسبابها ، وقف بعض الناس عند أول سبب فلم يروا ما قبله ، ومنهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهي إليه عقله ، فطوى الحق تعالى تلك الأسباب وأظهر البسملة أي بتقديم الجار أن كل شيئ باسمه لا يسبب سواه »[1]. وهذا المعنى الرقيق المستفاد من استهلال كل السور بالبسملة . بدءا من الفاتحة التي عدت عند جمهور العلماء آية من آياتها مما يدفع المسلم إلى التعامل مع النص القرآني بطريقة مغايرة عن أي نص آخر.

فعليه أن يستحضر قدرة وعظمة المولى عز وجل منذ البداية ليستشعر جلال ألوهيته وربوبيته فيحرص على أن يتلقى معاني القرآن الكريم من ربه الرحيم بقلبه وعقله. فالقرآن لا تفهم معانيه ولا تلقى صداها إلا في القلوب المؤمنة التي تحاول أن تبتعد عن الدنس ، ولذا كانت الاستعاذة قبل قراءة القرآن لقوله تعالى « **فَإِذَا قَرَأْتَ لْقُرْآنَ فَ سْتَعِذْ بِ للهِ مِنَ لشَيْطَانِ لرجِيم** » (سورة النحل الآية 98) .

[1] - الإمام البقاعي : مرجع سابق، ج 1 ، ص 13 .

« وقدم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره ، لينال سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة ، بإعراضه من العدو الحسود و إقباله على الولي الودود»[1] .

فقراءة النص القرآني تستوجب تعاملا خاص يحضر فيه القلب والعقل معا حتى يستطيع قارؤه أن يعيش أجواء آياته فيستلهم منها المعاني وتنكشف له حجب الأسرار .

واستفتاح كل سورة من القرآن الكريم بهذه الرحمة المتمثلة في اسمي " الرحمان الرحيم" لها دلالاتها أيضا « فلما كان اسم الجلالة علما وكان جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى أولية "الرحمن" من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره ومن حيث أنه أبلغ من "الرحيم" فأولى أبلغ الأبلغ ، وذلك موافق لترتيب الوجود ، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعباد ، وذكر الوصفان ترغيبا ، وطويت النقمة في أفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بالإشارة إلى الترهيب. والمراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته وكررهما بعد تنبيها على وجوب ذلك للربوبية والملك ، ولدلالة على أن الرحمة غلبت الغضب ، وفيها إلى ما ذكر من الترغيب للدلالة على سائر الصفات الحسـنى ، لأن من عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص»[2].

البسملة كعلامة افتتاحية لكل سور القرآن الكريم تحمل دلالات و معاني تبعث السكينة والطمأنينة في نفس القارئ . وتمنح النص القرآني تميزه الأيقوني .

إضافة إلى هذا فإن متن السور القرآنية مقسم إلى آيات مرقمة موضوع رقمها في شكل مزخرف في نهايتها ، وهذا التقسيم إلى آيات هو تفرد آخر يجعل النص القرآني مختلفا تماما عن أي نص آخر.

لذا فلا يمكننا أن نضعه ضمن أي لون من ألوان الأدب على بلاغته التي لا تضاهيها بلاغة ، فلا هو شعر وإن حافظ على الإيقاع الموسيقي ، و قـفيت فواصل آياته ولا هو

[1] - المرجع السابق ، ج 1 ، ص 12 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 13 .

نثرا وإن كتب بطريقة النثر بل كلام ا المعجز الذي تحدى به الخلق على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا لقوله تعالى « **وَإِن كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَا نَزلنيا عَلى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِن مِثلِهِ وَدعُـواْ شهداءكم من دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » الآية (23) سورة البقرة .**

وتتشكل سور القرآن من آيات يختلف عددها وحجمها من سورة لأخرى .

« و حد الآية قرآن مركب من جمل و لو تقديرا ، ذو مبدأ و مقطع ، مندرج في سورة ، و أصلها العلامة .و منه « إن آية ملكه » ؛لأنها علامة للفضل و الصدق ، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة»[1] .

فوحده النص القرآني من انفرد بهذا التركيب و على هذا الشكل الدال على منتهى الإعجاز في كل شيء.

إن تشكيل النص القرآني من آيات تنضم لبعضها البعض مشكلة سورا ، واستفتاح كل سورة بالبسملة يعطي للنص القرآني نوعا من التميز الفريد يكتسب به بعدا تداوليا يلقي بظلاله على نفسية المتلقي أنه أمام كتاب معجز هو كلام ا خالـقه و خالق جميع الكائنات و ليس كلام بشر مثله قد يصيب أو يخطئ .

إن **التمثـ ـيل الصوتي** لاسم "سورة البقرة " يتشكل من مجموعة من الوحدات الصوتية : سو + ر+ ة + ال + ب + ق + رة .

وإذا ما أتينا نبحث عن الدلالات الإيحائية لهذه الأصوات نجدها كما لو أنها وجدت فقط لتفضح حقيقة اليهود من خلال صفات هذه الأصوات و ميزاتها فالألف و اللام للتعريف ؛ تعريف بمعجزة ا لبني إسرائيل عساها تكون سبب هداية لهم ، وأنى لهم ذلك فقد نالت البقرة شرف الشهادة على ظلمهم لأنفسهم وتنكرهم للحقيقة وللإيمان لأن المعجزة ما كانت لتحرك قلوبا هي أقسى من الحجارة ، فحق لهذه البقرة إلا أن تكون معرفة لأنها من نوع خاص لا تشبه غيرها، فألف و لام التعريف تعطيها صفة التميز و الخصوصية . أما

[1] - السيوطي : مرجع سابق ، ص 187 .

- -

صوت الباء الشفوي و المجهور في نطقه وهو أول ما يصوت به الإنسان في مسيرة تعلمه للغة ، يحيل على رحمة ا بخلقه وفي المقابل بتمادي الغافل في غفلته ، وزاد هذا المعنى وضوحا حركتها الفتحة حيث تفتح فضاء واسعا. يتجلى فيه حلم المولى عز و جل بخلقه و غطرسة اليهود و عدم تورعهم عن أي منكر.

يتبعه صوت القاف المجهور يحمل في ثناياه جهل اليهود بسوئهم و جدلهم لربهم ، ومخرجه الحلقي الدال على العمق ، يحيل على الظلام الحامل لمعاني الضلال التي تبعت تاريخ اليهود مذ وجدوا .

وضحت صفة الراء وهي التكرار تثبيت هذه المعاني ، لأن بني إسرائيل ما كانوا ليستفيدوا من أخطائهم بل ظلوا يكررونها مع نزول العقاب بهم ، وآخر الأصوات التاء المربوطة كأنها هي قلوبهم التي ربطت على العصيان فما كان لها لتفتح و ترى نور الإيمان حتى تفتح التاء المربوطة في اللغة العربية .

والمستوى التركيبي لسورة البقرة يتكون من المركب الإضافي الذي نواته لفظة سورة الواردة نكرة و المعرفة بلفظ " البقرة " غير أن هذا التركيب لا يشكل في أذهاننا سوى صورة الحيوان المعروف – الأليف - بالمنافع الكثيرة ، فوجود لفظة البقرة إلى جانب سورة لا تزيدها تعريفا في الدلالة وإنما على المستوى الوظيفي فقط لأن الإضافة في اللغة ستجعل النكرة معرفة كأن نقول " بيت العلماء " فقد صار لدينا معرفة بصاحب البيت إنه للعلماء .

أما حين نقول سورة البقرة فإن لفظة السورة والتي سبق شرح معناها اللغوي والاصطلاحي لن تحددها أو تعرفها لفظة البقرة إذا أضيفت لها بل إن الذي يتشكل في ذهن المتلقي أن السورة وهي مجموعة الآيات تسمى بالبقرة . وبالتالي هذه الإضافـة تمتنع عن وظيفتـها اللغوية وتصبح تسمية " سورة البقرة " كأننا قـلنا فقـط " البقرة " على مستوى الدلالة .

و منه يصبح اسم السورة أو عنوانها عبارة عن وحدة معجمية تمتاز بإضمار سياقي يهدف إلى تبئير الوحدة المعجمية البقرة ومنحها خاصية العنصر المركزي في الخطاب ؛ فإظهار العناصر التركيبية والسياقية يرجع إلى مقصديه تجعل من " البقرة " عنصرا أساسيا بين العناصر الموازية للمتن النصي ، لذلك فإن التبئير التركيبي للبقرة يمنحها دلالات أساسية بالنسبة لدلالة خطاب النص القرآني لأنها تمثل بصفتها اسما للسورة النواة الاستهلالية التي سيتولد منها الخطاب القرآني .

إن هذه العناصر الأولى العامة التي تتميز بها تسمية السورة - أو لنقل عنوانها - من تميز أيقوني و تبئير بإظهار العناصر التركيبية والسياقية يفتح الأفق أمام الدلالات الأولية التي تجعل من تسمية " البقرة " بؤرة مركزية تتجمع حولها كل الدلالات الجزئية التي ينتجها الخطاب القرآني، مما يؤهل اسم السورة بأن يصبح نقطة توالد وانسجام الخطاب و يبقى اسم " البقرة " لدى المتلقي يطرح عدة تساؤلات و استفهامات عن علاقة هذا الحيوان الأليف بنص مقدس هو القرآن الكريم .

وهكذا يصبح اسم السورة ، أفقا مغلقا يصعب الدخول إليه حين نعتمد على الدلالة اللغوية للتسمية فقط ، لذا فإن اسم " سورة البقرة " لا ينفتح أفقه إلا بالرجوع إلى السيـاق السوسيو ثقافي ، و هذا ما نحاول تتبعه من خلال المستوى الدلالي.

- -

1-2 –المستوى الدلالي :

إن الدلالة اللغوية التي يمكن أن نستخلصها من تسمية " البقرة" كي تصبح مؤشرا مساعدا في الوقوف على التوقعات الأولية التي قد تحتويها السورة لمحدودة في وجهين :

- البقرة : كحيوان أليف منزلي يحتاجه الإنسان في بعض حوائجه ← فهي تمثل الخير والمنفعة .

- البقرة : في بعض الثقافات كالهندية واليهودية حيوان مقدس ← فهي تمثل الإله والمعتقد

قربان يقدم لرب ← فهي وسيلة تقرب إلى الاله.

إذا عدنا إلى هذه المعاني الأولية فإننا لا نجدها كمؤشرات قادرة على فهم سر التسمية بهذا الاسم " البقرة " ، بمعنى أن هذا الاسم (العنوان) في مستواه الأول الذي يتحدد في بنيته المستقلة والتي ينتظر منها الاشتغال الدلائلي الخاص بها، يتبعه المستوى الثاني الذي تتخطى فيه الإنتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل ومشتبكة مع دلائليته دافعة ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها غير كاف ،لأن هذا الحيوان " البقرة " بالنسبة للعرب لم يكن يعني لهم شيئا كبيرا فبيئتهم صحراوية والحيوان الذي كان عونا لهم في هذه البيئة هو الجمل ، أما الحيوان المفضل لديهم فهو الحصان (الفرس) ، غير أن القرآن الذي نزل عند العرب يسمي أطول سوره باسم يعد إلى حد ما بعيدا عن ثقافتهم وحياتهم الاجتماعية فتسمية "البقرة" تحيل على الغرابة حين تجهل مرجعية التسمية التي تنطلق من السياق السوسيو ثقافي .

أما الوجه الثاني لاسم البقرة وهي كونه حيوان مقدس في بعض الديانات ، فهو الاحتمال الذي يجد له ارتباط بالنص من باب أن اليهود قد عاشوا في شبه الجزيرة العربية إلى جوار العرب من مشرك ومسلم ، وهم أيضا بالمدينة المنورة أهل كتاب يجاورون الأوس والخزرج فقصتهم مع البقرة قد يعلمها البعض و يجهلها آخرون حتى يومنا هذا .فتتضح

بعض المعاني من التسمية لكنها غير كافية لكشف النقاب عن أسرارها والدلالات التي تحيلها على النص ، بل تزيد في حيرة المتلقي و تكثر من تساؤلاته .

فعرض قصة "البقرة " بشيء من التفصيل و بعض أخبار بني إسرائيل مع نبيهم موسـى- عليه السلام – يضـعنا أمام الخطوات الأولى في فهم الدلالات الحقيقية لتسمية " البقرة " على أن نتتبعها في إطار سياقها السوسيو ثقافي و ما يمكن أن تحيل عليه.

1 -2 -1- معجـــزة البقـــرة :

قال تعالى : « **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَة قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** » الآيات (67- 71) سورة البقرة .

إن هذه الآيات الكريمة تقص علينا قصة البقرة بأسلوب القرآن الكريم المختصر المفيد يحمـل في طياته العبـر الكثيرة والمعاني الغزيرة لمن له قـلب وعقل يتدبر ويستشعر الحكمة منـها .

وقد ورد شرح وتفسير هذه الآيات في كتب التفسير[1]؛ أن رجلا من بني إسرائيل قد قتل ولم يعرف قاتله فطلب أهله الحقيقة عند نبيهم موسى عليه السلام فأتاهم أمر الله بذبح البقرة فكان جوابهم لموسى - عليه السلام - بأنه يهزئ بهم ، فاستعاذ نبي الله من أن ينسب شيئا لله ما أمره به ، فما هذا إلا عمل الجاهلين ، حينها طلب بنو إسرائيل أوصاف هذه البقرة بدلا من أن يبادروا في الامتثال إلى أوامر الله بذبح أي بقرة وجدوا . فجاءت أوصاف البقرة كما أرادوا فهي بقرة لا فارض أي مسنة كبيرة ولا بكر أي الصغيرة ، عوان أي متوسطة بين المسنة والصغيرة ،ليزجرهم بعد ذلك المولى عز وجل عن لجاجتهم آمرا لهم بتنفيذ ما طلب منهم إلا أن بني إسرائيل كعادتهم يجادلون ويتعنتون

[1] - محمد سليمان عبد الله الأشقر ، زبدة التفسير ، دار النفائس ، الأردن ، ط 2 ، 2004 ، ص 10 – 11 .

ويتماطلون في تطبيق أوامر ا فلم يستجيبوا إلى أمره بالذبح ، وإنما طلبوا أن يبين لهم لونها فكانت البقرة الصفراء الفاقع لونها تسر الناظرين .

فهل هذا كاف لتعرف ماهية البقرة طبعا لا، لأن البقر تشابه على بني إسرائيل فهم يسألون عن جنس هذه البقرة العـوان الصفراء الفاقعة اللـون مدعين أنهم إذا تسنى لكم ذلك سيهتـدون إلى الحـق. فأتاهم الرد الإلهي بأن البقرة " **لا ذَلولٌ** " أي ما ذلت للعمل « **تُثِيرُ لأَرْضَ** » وذلك بحرثها، كما أنها لا تسقي الزرع سليمة من كل العيوب « **لا شِيَةَ فِيهَا** » أي خالصة اللون لا تشوبها علامة ، وعند هذا الحد توقفت مطالب بني إسرائيل ف « **قَالُواْ لآنَ جِّئْتَ بِ لْحَق** » وكأن ما مضى ما هو بالحق .

وقد قيـل في قوله تعالى « **وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ** » لعدم وجود البقرة المتصفة بهذه الأوصاف أو لارتفاع ثمنها وكذلك لخوفهم من اكتشاف أمر المقتول .

هي ذي قصة البقرة سيدة الأوصاف عند بني إسرائيل أصبحت عنوانا لدلالات عدة ودرسا لهم ولغيرهم ، سنحاول بعد سردنا القصة بإيجاز دون أي تعليق أن ننظر في المعاني ولدلالات التي تضمنتها القصة فشكلت منها هذا الرمز " البقرة " .

في محاولة للكشف عن أسراره عبر متن السورة واقفين على تجليات هذه العلامة الأولية التي هي اسم السورة أو عنوانها داخل خطاب السورة ، ذلك أن« الخطاب بصفته نسقا ، يتمفصل إلى مجموعة من الحالات الداخلية التي توجد بينها مجموعة من العلاقات تحكمها سيرورة داخلية ، وأول هذه الحالات هي الحالة الأولية المتمثلة في العنوان»[1] .

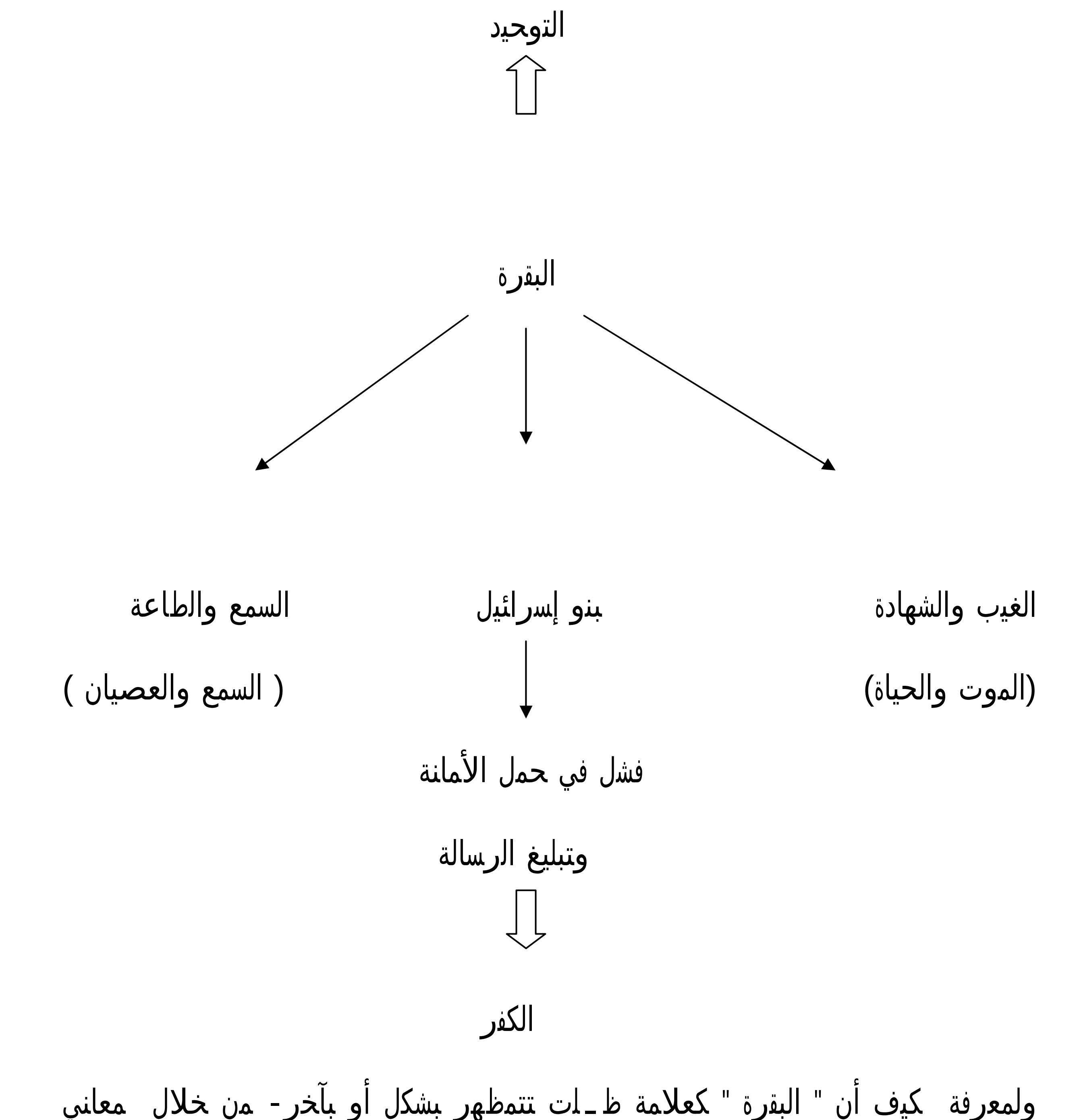
و هذا الأخير ما هو إلا عنصرا بنيويا « تتحدد قيمته في امتداد المجال الذي يتعالق به ومن هذا المنظور فإن القيمة لا تتحد في العنصر بذاته ، ولكنها في قيمة موقعية»[2].

وعليه فهذه محاولة لتمثل الدلالات التي يمكن أن تتجلى لنا من خلال قصة " البقرة " في الشكل التالي :

---

[1] - عبد المجيد الونسي ، مرجع سابق ، ص 121 .

[2] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .



ولمعرفة كيف أن " البقرة " كعلامة ظـلت تتمظهر بشكل أو بآخر- من خلال معاني القصة التي تضمنتها - في كامل خطاب السورة مما ساهم بضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه ، إذ أن اسم السورة هو المحور الذي يتوالد ويتنامى منه الخطاب ، فلا بد إذن من الوقوف على هذه المعاني المستخلصة من القصة .

1 - 2 - 2– الغيب والشهادة – الموت والحياة :

الغيب في اللغة من غاب : غيبا وغيبة وغيابا وغيوبا ومغيبا عنه : بعد عنه وباينه وغيابا وغيبوبة عنه ضد حضر ، والغيب مصدر جمعه غياب وغيوب : كل ما غاب عنك ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب أي من موضع لا أراه[1].

فالغيب إذن هو ما عجزت الحواس الإنسانية عن إدراكه فهـو غائب عنها بعيد المنال ، أنى تراه العين أو تطاله الأيدي .

وقد ورد في تفسير ابن كثير في معنى الغيب تفاسير عدة اختلف فيها السلف وكلها صحيحة ، منها قـول أبو جعفر الـرازي عن الربيع بن أنـس عن أبي العالية في قوله: « **يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** » أي با وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت والبعث فكل هذا غيب، وعن ناس من أصحاب النبي – صلى ا عليه وسلم – أن الغيب ما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن . وآخرون قالوا بأن القرآن هو الغيب ، أما عطاء بن أبي رباح فقال: من آمن با فقد آمن بالغيب[2] .

فالغيب إذن هو كل ما لا تدركه الحواس من رؤية المولى عز وجل و ملائكته وجنته وناره وما ينتظر البشر من بعث وإحياء من بعد الموت ، وما هو مقدر لهم من أرزاق وثواب وعقاب.

ومنه نسـأل ما علاقـة الإيمـان بالغيب بقصة "البقرة " ؟ وأين يتجلـى الغيب في مشاهد هذه القصة ؟

هي البقرة لحم ميت ضرب به لحم الإنسان الميت لتولد من الموت الحياة ، حياة وإن كانت قصيـرة فقد انبثقت منها الحقيقة ، حقيقة القاتل الذي ظن أنه لن يكشف أمره هو ومن تآمـر معه .

وحقيقة أعظم منها ظلت آية شاهدة على أن الخالق موجود إذا أراد شيئا فإنه يقـول له : " « **كُنْ فَيَكُونُ** » فهو القادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم من جديد بعد الموت دون أن

---

[1] - لويس معلوف : المنجد في اللغة و الأدب و العلوم ،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط 18 ،ص 563 .

2 - ابن كثير أبي الفداء ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، لبنان ، 2006 ، ج 1 ، ص 46 – 47 .

- -

يحتاج إلى سبب ، وإذ نجد أن إحياء ميت بني إسرائيل قد احتاج إلى علة وهي الضرب بلحم البقرة فلأنهم أمة لا تؤمن إلا بالمحسوس فجعل لهم سببا من نفس اعتقادهم ولو أن الميت قام دون سبب لربما ادعوا أنه " سحر".

فميت بني إسرائيل ما كانت لتعود له الحياة حتى امتثلوا لأمر ا بذبح البقرة وإن جادلوا في أوصافها وشددوا على أنفسهم في ذلك ، فقد ساهم بنو إسرائيل في عودة الحياة لميتهم وهذا أحرى بأن يجعلهم يؤمنون با وبقدرته على البعث ، ولكن للأسف تبقى المادية تغلب على أرواحهم ، فنجدهم يتبجحون برغبتهم في رؤية المولى عز وجل جهارة « **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** » الآية 55-56 سورة البقرة.

فغلبة المادة على أرواح بني إسرائيل جعل ا لها ما يوازيها في إحياء ميتهم ، سببا ماديا وهو لحم البقرة الميتة ولو أنهم كانوا يتعظون بآيات ا التي أراهم إياها وبأنعمه الكثيرة التي عددها المولى عز وجل في هذه السورة لقطعوا أشواطا كبيرة في التقرب إلى ا والبعد عن هذه المادية التي تحجبهم عن انطلاقة الروح إلى عالمها الجميل الذي يمنحها الحرية و الانعتاق من سجن المحسوس .

فالإيمان بالغيب كانت أولى الصفات التي يجب أن يتصف بها المؤمن لقوله تعالى :
« **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** » .

« فلا تقوم حواجز الحس دون الاتصال بين أرواحهم والقوة الكبرى التي صدرت عنها وصدر عنها هذا الوجود ، ولا تقوم حواجز الحس بين أرواحهم وسائر ما وراء الحس من حقائق وقوى وطاقات وخلائق وموجودات ، والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس أو الأجهزة التي هي امتداد الحواس ، وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي ، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قوة وتدبير[1]» .

---

[1] - سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، لبنان ، ط 11 ، م 1 ، ص 39 .

« وأن وراء الكون ظاهره و خافيه حقيقية أكبر من الكون هي التي صدر عنها واستمد من وجودها وجوده ، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول ، وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والتمزق والانشغال بما لم تخلق له وما لم توهب القدرة للإحاطة به ، ما لا يجد شيئا أن تنفق فيه »[1].

الإيمان بالغيب صفة وعلامة فاصلة بين الإيمان والكفر سينبثق عنها إما سمع وطاعة وإما سمع و عصيان كما هو الحال لدى بني إسرائيل .

لذا كانت هذه العلامة أول ما تصدر السورة ، بدءا من حروفها الأولى الثلاث والتي عدت آية لوحدها « **الم** » ، فهذه الأحرف الاستفتاحية في سورة البقرة لها نظيرها في سور أخرى ، قد حاول العلماء والمفسرون كشف سرها فقالوا في أمرها ما قالوا ليبقى السر سر لا يفصح عن ذاته ؛ وتبقى أقـوالهم مجرد اجتهاد سنأخذ منه ما يتناسب مع موضوع بحثنا.

فالمولى عز وجل قد أمر خلقه أن يعبدوه بهذه الأحرف وإن غاب عنهم سر معانيها بمعنى أن العبد يتعبد خالقه بغيب الأحرف لأن المولى عز وجل وحده من تفرد بسرها .

فالإيمان بالغيب بدأ مع أول حرف من السورة من أجل أن يعلم المؤمن أن عقله البشري نعمة من خالقه مهما أبدعت وفكرت فطاقتها محدودة و إن اتسعت ، وبهذا فالمؤمن طائع لبارئه بعقله كما هو طائع له بدنه ، فمع البداية الأولى للسورة المؤمن يقول : آمنت بالغيب وبكل ما فيه .

ومن بديع التعبير القرآني الرائع أن تنسجم الآيات الأولى كلها في حديثها عن الغيب قال تعالى « **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » الآيات 1-5- سورة البقرة .

فبعد صفة الإيمان بالغيب التي وصف بها المؤمنون يتبعها ما يتناغم مع الغيب من طاعة هي في حقيقتها إيمان بالغيب ؛ فإقامة الصلاة التي هي علاقة بين العبد وربه الغائب عنه

[1] - المرجع السابق، ص 40 .

بذاته الحاضر أمامه بقدرته وصفاته ودلائل وجوده . والمؤمن يتعبد مرة أخرى بالغيب إذ سينفق من الرزق الذي هو غيب لا يعلمه إلا ا ، فوحده من يعلم ما يخفيه للخاق من رزق لن يعلموه إلا بعد سعيهم في طلبه ولن ينالوه إلا حين يقدر المولى عز وجل ذلك ، وسينفقونه بتوفيق منه .

ففي هذه الآيات اجتمعت عبادة الغيب ، فالمؤمن يتعبد بتلاوة كلام ا بما هو غائب عنه معناه، وهو يقيم الصلاة مع من هو غائب عنه ، وينفق من غيـب رزق لا يعلمه إلا ا

ثم يضاف إلى ذلك غيب ما أنزل على الرسول - صلى ا عليه وسلم – وما أنزل على الذين من قبله ، فيكتمل الإيمان بالغيب باليقين في الآخرة و بأنها حياة أبدية تنتظر الخاق وإليها مصيرهم. إذن فالإيمان بالغيب مدار الاعتقاد و التكليف ، وهو النقطة المحورية والفاصلة بين الإيمان والكفر :

الإيمان بالغيب ← السمع والطاعة ← هدى ← مفلح (فائز)

إن الإيمان بالغيب هو علامة الإيمان ودلالة السمع والطاعة ، هذه العلامة سنجدها تتمظهر عبر خطاب السورة في مواضع عدة منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي يتوارى خاف المعاني يدعونا للتأمل و التدبر.

وقد وردت هذه العلامة كتعقيب يتبع خطاب المولى عز وجل لخلقه المؤمن به والكافر على حد السواء ، تبيانا للحقيقة التي تنتظر الإنسان في العالم الآخر.

لذا سنحاول رصد هذه العلامة الفاصلة بين الإيمان والكفر والتي جسدتها قصة البقرة في أروع صورة لها ، عبر خطاب السورة وقد كانت سببا في تناميه وتماسكه .

فإذا كانت الآيات الخمس الأولى قد حددت صفات المؤمنين ، يتبعها بالنقيض صفة الكافرين في آيتين أوجزت أن الغشاوة التي على أبصارهم تمنعهم من رؤية الحق فلا تنفع مع ذلك موعظة ، فالمادية والإيمان بالمحسوس هو الذي يسجنهم في هذا العند والتعنت من رؤية الحقيقة .

وبين المؤمن والكافر منزلة أخرى ظاهرها إيمان و باطنها كفر ، هي صفة المنافين ، التي تسهب الآيات القرآنية في تفصيل حال أصحابها ، فيعقب الحديث عنهم بسؤال استنكاري و غرضه التعجب والتقريع في ذات الوقت من هؤلاء الذيـ ـن ما اسطاعوا أن يتحرروا من ماديتهم المفرطة التي تحجبهم عن رؤية قدرة ا في خلقه وبساطة إحيائهم و إماتتهم التي ينكرونها في قـ ـوله تعالى « **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَ يُمِيتُكُمْ ثُم يُحْيِيكُمْ ثُم إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** » الآية 28 من سورة البقرة .

فكرة البعث والموت و الحياة الأخروية ، هي الغيب الدال على وحدانية المولى عز وجل وقدرته وجبروته ، ظلت تتكرر عبر خطاب السورة تقرع النفوس وتدعوها للتوحيد . فهذه الآيات العظيمة هي مصير الإنسان الذي ينتظره فوجب إذن الوقوف عندها بعد كل قضية أو كلام يستحق أن يقال .

لذا تصدر الحديث عن آدم عليه السلام كأول إنسان بعثت فيه الحياة لأجل غاية حددها له خالقه لقوله تعالى « **وَإِذْ قَالَ رَبكَ لِلْمَلائِكَةِ إِني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدسُ لَكَ قَالَ إِني أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** » الآية 30 من سورة البقرة .

وتختم قصة نزوله إلى الأرض بالحديث عن الغيب في قوله تعالى « **وَ الذِينَ كَفَرواْ وَكَذبُواْ بِآيَاتِنَآ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** » الآية 39 من سورة البقرة .

فذكر آدم – عليه السلام - يؤسس بداية البعث الأول للبشر والغاية من وجودهم كما يبين النهاية المحتومة التي تنتظر كل من يكفر بهذه الغاية ، فهي بداية النهاية حيث يبعث الخلق من جديد ليحاسبوا على ما فعلوا ،فيخلد الكافر في النار و المؤمن في الجنة .

فخلق أول الـ ـبشر غيب ، والبعث والحساب غيب ، والجزاء بالجنة و النار أيضا غيب فالغيب كعلامة تتنامى مشكلة انسجام خطاب السورة ؛ تظهر بعد ذلك كبؤرة مركزية من خلال قصة البقرة تمتد دلالاتها إلى نهاية السورة .

تمضي السورة في مخاطبة بني إسرائيل على مدار اثنتين وستين آية (من الآية 42 إلى غاية 102) تذكرهم بنعم المولى عز وجل عليهم ، وتكشف سوء تصرفهم مع نبيهم موسـ ـى- عليه السلام - بما في ذلك قصة البقرة التي سبق سردها.

- -

وفي كل مرة هناك تذكير بالغيب ، هذه المرة تمثل في الحديث عن جبريل - عليه السلام - وهو ملك جعله ا رسولا بين السماء و الأرض ، وكذا بقية الملائكة ، في قوله تعلى « **قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لجِبْرِيلَ فَإِنهُ نَزلهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ للهِ مُصَدقاً لمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوّاً للهِ ومَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِن للهَ عَدُوٌّ للكَافِرِينَ * وَلقَدْ أَنْزَلنَآ إِليْكَ آيَاتٌ بَينَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا لفَاسِقُونَ** » الآية 97-99 من سورة البقرة .

ويظل التعقيب يتبع بني إسرائيل كلما ذكروا ، يذكرهم بما عمت عليه بصيرتهم في إدراكه ، لأنها مكبلة بقيود المحسوس والمادة .

فهذا التذكير بالغيب موعظة لهم وعبرة لغيرهم في مواضع كثيرة من هذه السورة من ذلك أيضا قوله تعالى « **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ ذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ لتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَني فَضلتُكُمْ عَلَى لعَالمِينَ * وَتقُواْ يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** » الآية 122-123 من سورة البقرة .

هو الحديث عن الغيب يتجلى بكل مضامينه في مواضع مختلفة من السورة اختيرت بدقة وحكمة تخدم خطاب السورة على مستوى دلالاته وبنيته العميقة ، وفي كل مرة يظهر لنا جانب من الغيب لتكتمل كل معانيه التي سبق وأن ذكرناها في بداية شرحنا لمعنى الكلمة في اللغة و ما قاله المفسرون .

فمن بداية السورة ظهرت معاني الغيب جملة ثم بدأ تفصيلها عبر الآيات ، فتارة بالحديث عن البعث ويوم القيامة وأخرى عن آيات ا في خلقه وحينا عن الملائكة ، وفي أغلب الأحيان يذكر بقدرة ا على الإحياء والإماتة لترسخ بذلك صفة الوحدانية التي تفرد بها وحده تعالى بأنه المحيي والمميت ، وستمجد هذه الصفة من خلال آية الكرسي والتي تحظى بخصوصية تجعلها أعظم آية في القرآن الكريم. فضلها ا عن باقي الآيات بمعية خواتيم هذه السورة ، لما لهما من عظيم الأثر سنقف عنه في غير هذا الموضع .

فصفة الحي القيوم هي الصفة التي أبرزتها هذه الآيات وقد كانت تتجلى بشكل آخر في الآيات السابقة الذكر عن الغيب .

إذ هو ا الحي القيوم هو الغيب الواجب الإيمان به ، لأنه وحده من يتفرد بالحياة الذاتية التي لم تأتي من مصدر آخر كحياة الخلائق المكتسبة الموهوبة من الخالق ، فالحياة الإلهية أزلية أبدية ليست لها بداية ولا نهاية .

« أما صفـة " القيوم " فتعني قيامه – سبحانه على كل موجود ، كما تعني قيام كل موجود به فلا قيام لشيء إلا مرتكزا إلى وجوده وتدبيره» [1]

قال تعالى « **لله لا إلـٰـهَ إلا هُوَ لحَي لقَيومُ لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لهُ مَا فِي السمَاواتِ وَمَا فِي لأرْض مَن ذَا الّذِي يَشفَعه عِندَهُ إلا بإذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وَمَا خَلفهُمْ وَلا يُحِيطُوَن بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إلأ بِمَا شَآءٌ وَسِعَ كُرْسِيهُ لسمَاوَاتِ وَلأرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ لعَلِي لعَظِيمُ** » الآية 255 من سورة البقرة .

هنا قد تجلت عظمة التوحيد لأنه لا يوجد إلا إله واحد حي من الأزل إلى الأبد قائم بذاته وبكل شيء خلقه عالم بشؤونـهم ولا يخـفى عنه أمرهم فهو العلي العظيم لا شريك له .

فسورة البقرة هي سورة **التوحيد** تصدرت المصحف الشريف بعد الفاتحة تبين للناس عظمة المولى عز وجل وضرورة طاعته وما علامة التسمية " بالبقرة " إلا وجه شاهد على ذلك من خلال ما تنطوي عليه قصة البقرة من معاني جليلة كان أهمها الإيمان بالغيب بما تتضمنه هذه اللفظة من دلالة ، وأول الغيب هو الإيمان بالحي"القيوم الذي يحي ميت بميت و بأي كيفية يريدها.

فسميت السورة باسم المعجزة التي ظهرت لبني إسرائيل فعموا و صموا وازدادت قلوبهم قسوة و أنفسهم غطرسة لا تنفعهم لا آية ولا معجزة .

فمعجزة البقرة هي وجه لصفة الحي القيوم في أبسط أشكالها حتى يعيشها كل قارئ فبقدر ما كان المثل بسيطا كان فهمه يسيرا وأثره عظيم." فالبقرة " كعلامة تحمل معنى الرمز على قدرة الخالق العظيم الذي يقول لشيء "كن فيكون"، هذه العلامة التي أصبحت تسمية أو عنوانا للسورة .

توزعت دلالاتها من بداية السورة إلى نهايتها في مواضع عدة ذكرنا أهمها . وقد تكون آية الكرسي الموضع الذي تبلورت فيه هذه الفكرة بشكل غدت الآية مركزا محوريا يشع

---

[1] - سيد قطب : مرجع سابق ، ص 287 .

بالدلالات ، تجمعت فيه كبؤرة أساسية داخل خطاب السورة تعمل على ترسيخ التوحيد والإيمان با وبكل الغيب من خلال هذه الصفة " **الحي القيوم** " ، فهي بمثابة البنية العميقة والدفينة التي انبثق منها الخطاب و تفرعت منه معانيه .

خاصة حين ننظر في معاني الآيات التي تبعتها فهي موضحة للحرية المطلقة التي أنعم بها ا على خلقه فلا يجبرهم على الإيمان به ، وإن كان على ذلك قادرا ، بل يترك لهم الاختيار بعد إعلامهم بحقيقة السعادة وهي التمسك بالعروة الوثقى المتمثلة في الدين الحنيف ، و إذا مـا فعلوا ذلك طـواعيـة ، فـإن ا هو وليهـم يخرجهـم مـن الظلمات إلى النور لقوله تعالى : « **لا إِكْرَاهَ فِي الدينِ قَد تبينَ الرشْدُ مِنَ الْغَي فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ وَيؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللهُ وَلِي الذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ منَ الظلُمَاتِ إِلى النورِ وَالذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ منَ النورِ إِلى الظلُمَاتِ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** » الآية 256 - 257 سورة البقرة . أما إذا اختاروا الظلمات على النور فمصيرهم نار جهنم .

لم يكن تشكل هذه البؤرة من الدلالات التي سبقتها فحسب ، بل ساهمت في تعميقها الدلالات التي ستتبعها من قصة سيدنا إبراهيم و نبي ا عزير عليهما السلام ، إذ تبين هي أيضا قدرة ا على الإحياء بعد الموت .

فسيدنا إبراهيم عليه السلام حين حاجه النمرود في ربه أجابه بيقين أنه يحيي ويميت واختار هذه الصفة أولا، ولكن النمـرود ادعى قدرته على ذلك ، لقولـه تعالى : « **أَلَمْ تَرَ إِلى الذِي حَآج إِبْرَاهِيمَ فِي رِبهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبيَ الذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِن اللهَ يَأْتِي بِالشمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظالِمِينَ** » الآية 258 من سورة البقرة

ففي حجاج إبراهيم - عليه السلام - للنمرود في مسألة وجود المولى عز وجل كان التركيز على صفة الإحياء والإماتة و هذا ما ينسجم مع صفة الحي القيوم . وفي نفس السياق ذكرت قصة نبي ا عزير.

ليعود الحديث مرة أخرى عن قدرة المولى عز وجل في إحيائه للموتى فيكون السؤال في هذه المرة من سيدنا إبراهيم عليه السلام طالبا من المولى عز وجل أن يريه كيف يحيي

الموتى فيكون الجواب في قوله تعـالى: « **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَب أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي لمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن ليَطْمَئِن قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً منَ لطيْرِ فَصُرْهُن إِلَيْكَ ثُم جْعَلْ عَلَىٰ كُل جَبَلٍ منْهُن جُزْءًا ثُم دْعُـهُن يَأْتِينَكَ سَعْيـاً وَ عْلَـمْ أَن للهَ عَـزِيزٌ حَكِيمٌ** » الآية 260 من سورة البقرة .

مرة أخرى الميت تعود له الحياة ، هذه المرة بطلب من إبراهيم - عليه السلام – فيأته الأمر بتقطيع أربعة أنواع من الطير ثم خلطها ببعضها البعض و توزيعها على مواضع مختلفة فإذ ما نادى على كل طائر جاءه يسعى حيا كما كان[1] . فلا حول ولا قوة إلا با إنه هو الحي القيوم .

أما قصة نبي ا عزير فيذكرها جل شأنه في قوله « **أَوْ كَ لذِي مَر عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنىٰ يُحْيِـي هَـٰذِهِ للهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ للهُ مِئَةَ عَامٍ ثُم بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لبِثْتَ قَالَ لبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَ نظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنهْ وَ نظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلناسِ وَ نظُرْ إِلَى لعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُم نَكْسُوهَا لَحْماً فَلما تَبَينَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَن للهَ عَلَىٰ كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ** » الآية 259 من سورة البقرة .

ولأن قصة عزير جاءت في سياق حجاج إبراهيم – عليه السلام - للنمرود لذا بدأت بقوله تعالى « **أَوْ كَ لذِي** » « فمعناه أو رأيت مثل الذي مر ، فحذف لدلالة ، ألم ترى عليه ، لأن كلتيهما كلمة تعجيب ، كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبراهيم . أو كالذي مر على قرية ، والمار كان كافرا بالبعـث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ، ولكلمة الاستبعـاد التي هي " أنى يحيي" ؟ و قيل هو عزير أو الخضر : أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام ، وقوله : " أنى يحي" اعترف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي»[2].

ولكن المار بالقرية إذ يستعظم ويتعجب من قدرة ا في الإحياء والإماتة فلكون مشهد الخراب والخواء قد وقع من نفسه موقعا جعله يحار كيف يحيي هذه ا بعد موتها ؟ ولأنه قد ذكر ا فهذا دلالة على إيمانه ، لاكما يتصوره الزمخشري أنه كافر لإلحاق قصته

[1] - المحلي ، جلال الدين و السيوطي، جلال الدين : تفسير الجلالين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 2006 ، ص 51 .

[2] - الزمخشري ، أبي القاسم محمد بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل ،مكتبة مصر ، مصر ، ج 1 ، ص 273 – 274 .

بقصة الكافر وسنرى فيما بعد سبب هذا الإلحاق ، والمـار بالقرية مختلف في أمره إن كان عزيرا أم لا .

وإذ لم يذكر المولى عز وجل اسمه فلحكمة مردها الاهتمام بالقضية الأساس وهي الإحياء و الإماتة فما كان مهما لا أن يذكر المحاجج و لا المار بالقرية غير أن إبراهيم عليه السلام ذكر وكأن السؤال عن هذه القضية مشروع إذ كان من قلب قد آمن ويرغب في ازدياد لا من تعجب أو إنكار.

ومختصر القصة أن عزير دخل بيت المقدس بعد أن دمرت فغدت خرابا ، دفع عزير يتساءل إن كان بالإمكان أن تعمر الديار بعد خرابها؟ . فكان الجواب أن جعله ا هو نفسه آية شاهدة على قدرة الحي القيوم ، حيث أماته مائة عام ليبعثه من جديد ، وما كان عزير ليشعر بهذه السنين الطوال بل ظنها يوما أو بعضه ، فعظمت حيرته حين علم أنها مائة عام ، وهاهي حاله كما هي لم يتغير لا طعامه ولا شرابه ، " « **فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** » فأين إذن هو دليل الإحياء ؟ سيتبين له في عودة الحياة أمام ناظريه إلى حماره " « **وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلناس وَانْظُرْ إِلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً** » فقد أعاد ا له الحياة أمام عيني صاحبه ليجيبه على تساؤله فكانت آية الإعجاز هي ضم هذه العظام بعضها إلى بعض وكسوتها باللحم وردها إلى الحياة في الوقت الذي لم يصب طعامه ولا شرابه التلف ، ليكون هذا التباين في المصائر والجميع في ذلك كان واحد ، معرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة . آية أخرى على القدرة التي لا يعجـزها شيء ، والتي تتصـرف مطلقة من كل قيـد وليـدرك الرجل كيف يحيي ا هذه بعد موتها [1] .

وإذ تتوسط قصة المار بالقرية بين الذي حاج إبراهيم في ربه وفي طلبه هو ذاته رؤية كيفية الإحياء ، فلأن كل من المحاجج وإبراهيم والمار بالقرية في عجب من أمر الإحياء بعد الموت . غير أن إبراهيم - عليه السلام - رغب في التعرف على الكيفية لأنه موقن من قدرة ا على ذلك لذا قال : « **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَىٰ** » ، أما المحاج فما رأى في الإحياء أو الإماتة دليل على الإلوهيـة لأنه باستطاعته أن يفعل ذلك « **أنا**

[1] سيد قطب : مرجع السابق ، ص 300 .

أحيي الموتى » وعليه فقد تبعتها قصة عزير ليتضح أن قدرة الإحياء والإماتة لا تتعلق في ترك الحي حيا أو قتله فيصبح ميتا ، وإنما في أن يموت الحي وتبعث فيه الحياة من جديد.

كما أن القصة تضمنت القدرة الإلهية على الإحياء بعد مرور مئة عام وهذا رد على من ينكر البعث يوم القيامة ،إذن فقد جمع السياق بين المحاجج والمار بالقرية من جهة التعجب في إنكار قدرة الإحياء فالأول يراها يسيرة لقدرته على فعل ذلك، والثاني عجز عقله أن يتصور عودة الحياة إلى الخراب الذي رأته عيناه .

« ولما كان الإحياء والإماتة من أظهر آيات الربانية وأخصها به أظهر سبحانه وتعالى الغيرة عليها تارة بإبهات المدعي للمشاركة ، وتارة بإشهاد المستبعد في نفسه وغيره بفعل ربه وتارة بإشهاد المسترشد في غيره بنفسه معبرا في كل منها بما اقتضاه حاله وأشعر به سؤاله فعبر في الكافر بإلى إشارة إلى أنه في محل البعد عن المخاطب - صلى ا عليه وسلم - وفي المتعجب بإسقاطها إسقاطا لذلك البعد ، وفي المسترشد المستطلع بإذ كما هي العادة المستمرة في أهل الصفاء والمحبة والوفاء فأتبع التعجب من حال المحاجج التعجيب أيضا من حال من استعظم إحياءه تعالى لتلك القرية »[1].

فالمعجزة بين القصص الثلاث واحدة ، قدرة ا على الإحياء بعد الموت غير أن من كانت في حقهم تباينت مواقفهم .

فأما أصحاب "البقرة " فمعجزتهم أول ما ذكر غير أن موقفهم بعيد عن كل التوقعات ورد في قوله عز وجل : « **ثُم قَسَتْ قُلُوبُكُمْ من بَعْدِ ذَلِكَ فَهيَ كَ الْحِجَارَةِ أَوْ أَشَد قَسْوَةً وَإن مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإن مِنْهَا لَمَا يَشقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإن مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللـهِ وَمَا اللهُ بِغَافِـلٍ عَمـا تَعْمَلُونَ** » الآية 74 من سورة البقرة .

فبنو إسرائيل إذن لم تكن المعجزة زاجرا لهم ولا واعظا يهديهم الصواب،بل ازدادوا تعنتا فشبه ا قلوبهم بأنها أشد قسوة من الحجارة لأنهم علموا أن الحجارة قد فجر ا لهم منها عيونا فشربـوا وأن الجبـل قـد خـر حيـن طلب - موسى عليه السلام- رؤية المولى عز وجل .

[1] البقاعي : مرجع سابق ، ص 505 .

فالمعجزة إذن ليست سببا كافيا للإيمان ، فبنو إسرائيل أكثر من أرسل ا فيهم الأنبياء بمعجزات كثر إلا أنهم ظلوا على تعنتهم وكفرهم .

فالبقرة هنا بحق تستحق هذه الرمزية الموغلة في العبرة والتذكر وإعمال العقل ، فالإيمان لن يكون أبدا نتيجة معجزة و إن كانت نتيجة منطقية حيث يستجيب العقل إلى آليات تفكيره فلا يتناقض مع قواعدها ويعلم أن هذا الكون وراءه موجد لا محالة هو خالقه و تعالى أن يكون شيئا ظاهرا كخلقه .

فالبقرة هنا ليست حيوان وإنما رمز لقسوة القلب والتعنت باختصـار"رمـزا للكفـر" مع أنها معجزة داعيـة للإيـمان .

وإذا عدنا للمار بالقرية عزير ، نجد موقفه من المعجزة التي حدثت أمامه أن قال « **قَالَ أَعْلَمُ أَن اللهَ عَلَىٰ كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ** » . وهذا جواب من كان مؤمن بربه غير أن عجبه كان في كيفية الإحياء ، فحين شهدها ازداد بذلك يقينا .

أما إبراهيم عليه السلام لأنه كان موقنا في الكيفية وإنما أراد طمأنينة قلبه، فلم يذكر المولى عز وجل موقفه من المعجزة وإن كان التعقيب « **وَ عْلَمْ أَن اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** » والعزيز هو المتفرد بالعزة فهو لا يذل ولا يضام ، ولا ترقى إلى حقيقته الخواطر أو الأفهام أو الأوهام، والعزيز هو الذي لا يغلب ولا ينال،أو الذي لا مثيل له ولا نظير ، أو الذي تشـد الحاجة إليه أو هو الظافـر الذي لا يقهـر، أو هو القـادر القوي الذي لا يوصل إليه[1].

أما الحكيم فهو العادل في التقدير والمحسن في التدبير الذي أصـاب كل شيء قدرا أو ذا الحكمـة البالغـة ، الذي يضـع كل شيء موضـعه ولا يعـرف كنه حكـمته غير ا سبحانه[2].

فورود اسمي المولى عز وجل العزيز الحكيم يتناسب مع معاني الموت والحياة والبعث والنشور ، فالعزيز قادر على ذلك متى شاء والحكيم أخفى أمر الموت ووقت البعث لحكمة هو أعلم بها .

[1] - أحمد عبد الجواد ، و الأسماء الحسنى فادعوه بها ، دار الكتب العلمية ، لبنان ط1 ، 2001 ، ص 35 .

[2]- أحمد الشرباصي ، موسوعة له الأسماء الحسنى ، دار الجيل ،بيروت ، ط1 ،1981 ، ص 252 - 253 .

- -

ومع أن قصة إبراهيم كانت تبحث عن كيفية إحياء الموتى إلا أن الكيف يبقى سرا إلهي لا يبلغه عقل البشر لأن إبراهيم – عليه السلام – إذ يدعو الطير التي ذبحها وفرق أعضاءها فتأتيه سعيا ، عاش تجربة يرى فيها عودة الحياة إلى الموتى ولكن الكيفية التي حدث بها ذلك لات أحدا يعلمها إلا العزيز الحكيم .

الحياة والموت والبعث من جديد غيب لا يعلم كنه حقيقته إلا العزيز الحكيم القادر على كل شيء قد بين ا لخلقه بعض آياته ، فتباينت مشاعرهم تجاه ما رأوه ومع أن رؤيتهم لا تتجاوز حد رؤية عودة الحياة للموتى، وقد غاب عنهم الكيف وأنى لأحد أن يعلمه إلا من بيده شأن ذلك ، فتبارك اسمه .

فلحم البقر الميت أعاد به الحي القيوم للميت الحياة ، والمار بالقرية بعث فيه الحياة بعد المائة عام ليرى حماره على مرأى من عينه ، تعـود له الحياة مرحلة بعد الأخـرى « **وَ نْظُرْ إِلى لعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُم نَكْسُوهَا لحْماً** » و إبراهيم - عليه السلام - الذي فرق لحم طير مختلف فدعاهن فجاءت إليه مسرعة .

جميع هؤلاء عايش كيف يعيد ا الحياة للموتى ، بأن يقول : « **كُنْ فَيَكُونُ** » لا بكيفية البشر الذين إذا قاموا بأي عمل احتاجوا إلى زمن الانجاز وكيفية العمل .

لذا هم يتساءلون كيف ؟ كيف هو موجود مالا تدركه الحواس ؟ وكيف يميت ويحيي ويبعث مرة أخرى ؟ ليبقى العقل في حيرته في الوقت الذي يبحث عن سكينته ؛ عندما ظن أن مفتاح العلم والمعرفة كنوز جادت بها قريحته ومنطقه وعقلانيته . فالعقل إذا أراد أن يسبح في مد المعرفة التي لا تحدها الحدود لا بد أن يؤمن بالغيب .

ومن لطيف ما يتبع قصة إبراهيم – عليه السلام - قول المولى عز وجل: « **مثَلُ لذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهُمْ فِي سَبِيل للهِ كَمَثَل حَبةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُل سُنُبلَةٍ مئَةُ حَبةٍ وَ للهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَ للهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** » الآية 261 من سورة البقرة .

وهذا ما ينسجم مع أول السورة تذكيرا بوصف المتقين « **لذِينَ يُؤْمِنُونَ بِ لغَيْبِ وَيُقِيمُونَ لصلاةَ وَمما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** » الآية 03 من سورة البقرة ، من جهة .

- -

ومن جهة أخرى يتناسب مع سياق الآيات السابقة وما تضمنته من إحياء الموتى هو أنسب الأشياء لما قبله من نشر الأموات ، فهو إيماء إلى استدلال على البعث بأمر محسوس[1].

هو هذه الحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة.

وهذا المثل ضربه ا للناس ليتذكروا الإحياء بعد الموت وليتبينوا قدرة ا في كل شيء قد تقع أعينهم عليه كالنبات الذي يخرج من حبه وهو ماثل أمام كل البشر يغطي كرتهم الأرضية أينما اتجهوا .

فالقدرة على الإحياء معجزة تتحقق في كل لحظة و كل حين ؛ أمام عقل الإنسان لا يحتاج إلى شيء يخرق عادة تفكيره حتى يتمثل المعجزة .

ففكرة الموت والحياة في هذه الآيات الكريمة تأخذ بعدا أعمق من أن تصبح الحياة أكل وشرب وإنما الحياة الحق هي حياة العطـ ـاء ، والموت ليس هذا السكـون الذي لا حراك معه، وإنما عجز النفس عن العطاء ورغبتها في الأخذ فقط . فالحياة والموت يتسع معناهما في هذه الآيات المتتاليات إلى ختام السورة ، كلها دعوة للعطاء وقسط في التعامل دون جور ، بل هو البذل و السخاء .

فبالغيب كانت البداية وإليه صارت النهاية ، يقول جـلا شأنـه في ختام السورة « **للهِ ما فِي لسمَاواتِ وَمَا فِي لأرْض وَإن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ للهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذبُ مَن يَشَآءُ وَ للهُ عَلَىٰ كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ * آمَنَ لرسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن ربـهِ وَ لمُؤْمِنُـونَ كُل آمَنَ بِـاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِـهِ لا نُفَرقُ بَيْنَ أَحَـدٍ مِن رسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَـا وَأَطَعْنَـا غُـفْرَانَكَ رَبنَا وَإِلَيْكَ لمَصِـيرُ** » الآيتين 284 -285 من سورة البقرة .

هو ا غيب عن خلقه حقيقة في ملكه و ملكوته سواء اعترف بها من اعترف أو أنكرها من أنكر، فلا أحد يستطيع أن يتفلت من قبضته لأن ملك السموات والأرض له ، وهو عالم بما في أنفسهم سواء أخفوه أو أظهروه ، قادر على أن يفعل بخلقه ما يشاء وقت شاء ، وكل هذا غيب يختص به ا وحده ؛ يتبع هذا حقيقة تقريرية أن الرسول قد أمن

---

[1] - البقاعي : مرجع سابق ، ص 515 .

بما أنزل إليه وأن المؤمنون كل أمن با وملائكته ورسله، وكلها غيب لن يتحقق الإيمان إلا بها ، يتبعها الاعتقاد بالمصير المحتوم و هو العودة إلى المولى عز وجل .

والنفس المؤمنـة هي التي تسمع أمر ربها فتطيـع لا أن تجادل وتتعنت ، كما فعل بنو إسرائيل فقالوا « **سَمِعْنَـا وَعَصَيْنَـا** » ويمكن تمثيل أول ثنائية كشف عنها اسم السورة « البقرة» معجزة الموت تضرب الموت فتولد الحياة التي تكشف الحقيقة ثم تستسلم إلى الموت من جديد بقدرة خالقها الحي القيوم ف « **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** » الآية 1-2 سورة الملك. بالمربع السيميائي الذي يمثل تنظيم البنية الأساسية للدليل التي تقع في المستوى العميق وذات الطبيعة المنطقية - الدلالية[1]، ليس من أجل إعطاء أو استظهار "رسالة" (مضمون)النص ، بل في توضيح الظروف الخاصة التي تكون فيها الرسـالة ممـكنة وبالتالي وصـف الشفـرة (اللغة) التـي تحـكم الرسـالة (الخطـاب)[2].ولئن كان المربع السيميائي يمثل شفرة ، فإنه يسمح أيضا بتقديم توقعات (فرضيات) حتى يتم التحقق من تجانس التحليل و تقويم تصويب الفرضيات[3].

البقرة	تضاد	الغيب
المادة		
تشاكل		**تشاكل**
الشهادة (الحياة)	تضاد	الروح

[1] -جوزيف كورتيس ، مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية ، تر : جمال حضري ، منشـورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 90 .

[2] - ميشال أريفه و آخرون : السيميائية أصولها و قواعدها ، ترجمة ، رشيد بن مالك ، منشورات الاختلاف ، ص 122 .

[3] - المرجع نفسه ، ص 123 .

كان من المفترض أن معجزة البقرة ستكون سببا في الإيمان لا الكفر و حينها لن تمثل على المربع السيميائي بعلاقة التناقض مع الإيمان ، لكن من جاءت في حقهم المعجزة وهم بنو إسرائيل الذين ازدادت قلوبهم من بعدها قسوة فهي كالحجارة أو أشد كما وصفهم المولى عز و جل.

لذا فالبقرة في المربع السيميائي تشكل علاقة تناقض مع الإيمان الذي يحيا في كنف الروح لا المادة و هذه هي حقيقة الحياة أن نؤمن با و بكل الغيب ، أما المادة فهي تمثلها البقرة و هي بذاتها موت و من تكون عقيدته المادة فقط فهو ميت .

والبقرة من جهة أخرى توازي عالم الشهادة لأنها شيء منه، فهي تمثل معه علاقة تشاكل، بينما هي في علاقة تضاد مع الغيب لأنها تجسد المادة التي تنكر كل ماهو غائب لذا فالنتيجة الحتمية هي أن الغيب و الشهادة في علاقة تناقض .

1-2- 3 -السمع والعصيان - السمع و الطاعة :

إن تجليات التسمية تبدأ بالظهور من بداية السورة و تظل تتمظهر في مواطن مختلفة قد تبرز للعيان كحقيقة متعرية من كل بيان، وقد تتوارى في ثنايا الألفاظ و العبارات تدعو العقل للتدبر و التأمل فيها في كثير من الأحيان .

هذا ما وجدناه في ثنائية " **الغيب و الشهادة**"، ونلمسه في ثنائية "**السمع و الطاعة**"، حيث تبدأ السورة في إقرار الحقيقة ثم تسوق الشواهد المختلفة على ذلك لتؤكد في النهاية الحقيقة التي لابد أن تكون ، وهي ذاتها التي انطلقت منها.

فالبقرة كرمز و ما تحمله قصتها من دلالات لا تتوقف فقط على عتبة الغيب الذي هو أساس الاعتقاد و الإيمان،بل إنها تستكمل حقيقة الإيمان و التوحيد الذي في البدء يستوجب الاعتقاد بالغيب ومنه تؤسس العلاقة بين ا وعبده على ركيزة إن هدمت ضاع الإيمان وهي السمع والطاعة .

فما قيمة الإيمان بالغيب إن لم ينجر عنه سمع وطاعة لأوامر من يعتقد أنه خالق لذا نجد هذه الثنائية مثلها مثل ثنائية الغيب والشهادة تجسدها قصة البقرة في صورتها

الواضحة التي تغدو رمزا لها، سنراه يتكرر في الظهور كتعقيب سبقه تبريره الذي بين لنا هذه النتيجة النهائية.

و عليه فلنعد إلى قصة البقرة مرة ثانية لا لنقصها من جديد و إنما لنرى من خلالها تجلي الجزء الأول لهذه الثنائية و هو السمع والعصيان. وسيبدو ذلك واضح من الوهلة الأولى انطلاقا من إجابتهم على ما كان يقوله لهم نبيهم موسى - عليه السلام - وهو يبلغ لهم أمر ا بذبح البقرة « **إِن للهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً** » الآية 67 من سورة البقرة .

فكان الجواب « **قَالُوا أَتَتَخِذُنَا هُزُواً** ؟.....» والواجب بعد السمع، الطاعة و تنفيذ الأوامر فرد عليهم موسى- عليه السلام - برفق عساهم يتوبون « **قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ لْجَاهِلِينَ**.... »

فما كان قوله ليرجعهم إلى جادة الصـواب بل قالوا « **قَالُـوا دْعُ لنَـا رَبَّـكَ يُبَينَ لنَا مَا هِيَ** ؟...» الآية 68 من سورة البقرة.

وسؤالهم هذا دلالة على تراخيهم و تقاعسهم عن السمع و الطاعة فقد كان بإمكانهم أن يذبحوا أي بقرة شاءوا لكنهم يبحثون عن المشقة التي بها يتعذرون عن طاعة الأوامر.

والسؤال عن الماهية في هذا المقـ ـ ـام – وإن كان المقصود الصفة – إنكار و استهزاء ما هي ؟ إنها بقرة . وقد قال لهم هذا من أول الأمر بلا تحديد لصفة و لا سمة ، بقـ رة و كفى[1].

ومع كل هذا يجيبهم سيدنا موسى - عليه السلام- فيما أرادوا و يذكرهم بسرعة الاستجابة.

«.... **فَ فْعَلُوا مَا تُؤْمَرونَ** » فلا يتوقفون عند هذا الحد من الأوصاف بل يطلبون لونها وبعد أن يجيبـهم على ذلك يجدون ذريعة أخرى لتعطيل الاستجابة إلى ما أمـ روا « **قَالُـوا دْعُ لنَا رَبـكَ يُبَين لنَا مَا هِـيَ إِن لبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَـيْنَا**... » الآية 70 من سورة البقرة .

---

[1] - سيد قطب ، مرجع سابق ، ص 78 .

تتوالى الشروط بمزيد من المواصفات فيتعقد الأمر ويضيق الاختيار وحينها يظهر لهم الحق « **قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ** » الآية 71 من سورة البقرة.

وكأن ما مضى لم يكن حقا ؛ فقط الآن استيقنوا أن موسى- عليه السلام- صادق لا يهزئ . ومع كل هذا يصف الله ترددهم « **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ** » بعد كل هذا التلكؤ و اختلاق الأعذار وتضييق دائرة الاختيار ....يطيعون الأمر عن مضض فلا يرى لهذه الطاعة أثر إيمان بل إنه جحود وقسوة لأنهم لو أرادوا الإيمان لأطاعوا الأوامر من أول وهلة ، ولأتبعوا السمع بالطاعة لا بالجدل والتكذيب والتشدد والعنت ..... لذا كان الوصف الرباني لحالهم « **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَـاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَـةِ اللّـهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » الآية 74 من سورة البقرة

فهل كانت البقرة تستحق هذه المساحة من الذكر فيثار بسببها كل هذا الجدل وبعد أن تصبح معجزة شاهدة للعيان تقسوا لها القلوب لدرجة تصبح الحجارة ألين منها.

هذه القسوة هي التي تفسر ظهور هذه الثنائية "السمع والعصيان" مع بداية السورة في قوله تعالى « **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ** » الآية 6-7 من سورة البقرة ، فكل الحواس إذن عندهم معطلة .

والحجارة التي قيست قلوبهم إليها، فإذا قلوبهم أجدب وأقسى... هي حجارة لهم بها سابق عهد ، فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنا عشر عين ،و رأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخرا موسى صاعقا ولكن قلوبهم لم تلين ولم تندم ، ولا تنبض بخشية ولا تقوى .....قلوبهم قاسية جاسية مجدبة كافرة ...ومن ثم هذا التهديد « **وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » الآية 74 من سورة البقرة[1].

1- سيد قطب ، مرجع سابق ، ص 80 .

فقلب الكافر أشد قسوة من الحجارة قد طبع على الكفر والجحود فلا ينفعه أن تدعه للإيمان أو تتركه فما يرجى منه إذا سمع أن يستجيب ولا إذ أبصر أن يهتدي ،فعلى بصره غشاوة تحول بينه وبين رؤية الحق والاعتراف به .

إن هذا الحوارالقصير بين بني إسرائيل ونبيهم ، لكفيل برسم صورة هؤلاء المجادلين في الحق والمتقاعسين عن الطاعة والمتشددين على أنفسهم ، باحثين عن الأعذار للتخاف عن تنفيذ الأوامر، مختلقين الحجج ذريعة للضلال ...هي الصورة قاتمة قتامة قلوبهم التي استحوذت عليها الذنوب فلا يتحرجون من أي شيء حتى يطلبون رؤية خالقهم ، في الوقت الذي يستخفون بنبيهم قائلين « **ادْعُواْ رَبَّـكَ** » فكأنما هو رب موسى –عليه السلام – فقط.

فحقيقة بني إسرائيل تعريها قصة البقرة على قصرها لأنها جمعت كل صفاتهم السيئة فغدت البقرة عليهم عنوان ، فهل أخذوا منها حيوانيتها التي يغيب فيها العقل والإحساس ؟ أم أنهم موتى القلوب كموتها؟ وإن كان موتها قد وهب الحياة بإذن ا فالبقرة علامة تحيل على أهلها بكل أخطائهم ، فما استحقوا شرف تسمية السورة باسمهم وقد ذكروا في هذه السورة في غير موضع، وكانت التسمية باسم البقرة عنوانا لحقيقتهم فلا بالغيب آمنوا ولا بالمعجزة اعترفوا .

فالبقرة قصة و معجزة ، قصة شعب لا بالنعم اعترف، فحمد ا ولا بالمعجزة قنع فاسترجع واستغفر وتاب .

وقد أخذ الحديث عن بني إسرائيل وتاريخهم الحافل بالعصيان ثلاثة وخمسين آية متتابعة توسطتها قصة البقرة ، وابتدئ الحديث بتذكيرهم بنعم ا عليهم في قوله تعالى :

« **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِـيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْـدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** » الآية 40 من سورة البقرة .

« **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُـرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِـينَ** » الآية 47 من سورة البقرة.

وما كان تذكيرهم لينفعهم لا في عهد النبوة فيسلموا و يتعظوا بأسلافهم بل هم امتداد لهم إلى يوم الدين.لا يتورعون عن فعل أي شيء مهما بلغ سوءه، حتى أنبيائهم قد قتلوهم

مصداقا لقوله تعالى « **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ** » الآية 87 من سورة البقرة .

فلا بأنبيائهم أمنوا ولا بمحمد - صلى ا عليه وسلم – اهتدوا. ويصل منتهى تبجحهم و كفرهم أن يقولوا بالصريح العلني « **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** » مقولة تختتم بها رحلتهم في هذه السورة التي رصدت مواقف الأمة التي رشحت لحمل الرسالة والاستخلاف في الأرض فبين ا لها الطريق وأرسل لها الأنبياء وتفضل عليها بالنعم فتقول:« **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** » .

فماذا تريد بعد ذلك؟ وهل تستحق فرصة أخرى بعد هذه المسيرة الطويلة في تاريخ عصيانها ؟ وكأن سورة البقرة أخذت طولها من طول عصيانهم ومن هذه الرحلة المتعبة معهم ، و في عصيانهم يقول المولى جلا شأنه «**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** » الآية 93 من سورة البقرة .

فالبقرة تمثل أهلها وهم نموذج الاستخلاف الفاشل لأنهم سمعوا فعصوا .

البقرة ← بنو إسرائيل ← السمع والعصيان .

وتسهم ثنائية السمع والعصيان في انسجام خطاب السورة بامتدادها على مستوى الاتجاهين اليسار واليمين فاليسار تمثله مواقف بني إسرائيل واليمين سيمثل خطاب المؤمنين الذين سيمتثلون لأوامر ا دون لجاجة أو تأخر مبدؤهم (سمعنا وأطعنا).

بنو إسرائيل ← سمعنا وعصينا ≠ سمعنا وأطعنا → المؤمنون

⇓

البقرة

فالبقرة تجسد الوجه الأول لثنائية (السمع والعصيان) الذي يمتد باتجاه مضاد مشكلا الوجه الثاني لها (السمع والطاعة) ، فيتنامى خطاب السورة في ظل هذه الثنائية محافظا على انسجامه .

فبعد أن كان النداء الإلهي مخاطبا لبني إسرائيل يذكرهم بالنعم و يزجرهم عن السوء و يجدد لهم الدعوة إلى الإيمان، فما نفعهم ذلك بشيء ولو كان يرجى منهم هدى لاهتدوا على أيدي أنبيائهم ، و إنما هي تذكرة من ربهم ، لهم أولا ولكل الخلق ثانيا .

فتسمية السورة بـ "البقرة " فيها من العبرة والتذكرة ما يغني عن كل كلام. إذ يتحول الخطاب الإلهي من بني إسرائيل إلى المؤمنين كافة، فتتشكل بذلك ثنائية السمع والطاعة ، موسعة بذلك دلالة هذا الرمز " البقرة " المجسد لحقيقة الإيمان .

وتبدأ هذه الثنائية في التشكل مع أول نداء يخاطب المؤمنين ناهيا لهم من التشبه بالكافرين في مقالهم وفعالهم مصداقا لقوله تعالى: « **يَاأَيهَا الذِينَ آمَنُـواْ لا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُـرْنَا وَ اسْمَعُواْ وَللكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ما يَوَد الذِينَ كفَرُواْ مِنْ أَهْل الكِتَابِ وَلاَ المُشْرِكِينَ أَن يُنَزلَ عَلَيْكُمْ منْ خَيْر من ربكُمْ وَ اللهُ يَخْتَص بِرَحْمَتِـهِ مَن يَشَآءُ وَ اللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم** » الآية 104 -105 من سورة البقرة.

فلغة الخطاب قد تغيرت مع " الذين آمنوا " إذ يناديهم ربهم بالصفة التي تميزهم وتربطهم به ، فهي تحرك في نفوسهم الاستجابة والطاعة . ولأنهم آمنوا فهو ينهاهم أن يقولوا للنبي - صلى ا عليه وسلم - " **رَاعِنَا** " – من الرعاية و النظر – وأن يقولوا بدلا منها، مرادفتها في اللغة العربية " **انْظُرْنَا** " ويأمرهم بالسمع بمعنى الطاعة ، ويحذرهم من مصير الكافرين و العذاب الأليم[1] .

فا يزجرهم عن هذا اللفظ " راعنا " لأن اليهود كانت تقصد به إيذاء النبي - صلى ا عليه و سلم – ففي اللفظة تورية تتضمن معنى السوء و هي الرعونة ، فحين عجزوا عن جهرهم للنبي- صلى ا عليه وسلم – بالأذية مباشرة اتخذوا لها طريقا ملتويا كعادتهم وهذا ليس عنهم بجديـد .

---

[1] - سيد قطب : مرجع سابق ، ص 100 .

فمن البداية كان السمع و الطاعة في أقل الأمور شأنا في ظن الناس و هو تخير الألفاظ التي يتواصلون بها مع النبي – صلى ا عليه وسلم - فإن تمت الطاعة في هذا الأمر كانت في غيرها أسهل وأوجب .

و مثلما ظهرت ثنائية " السمع والعصيان" في مواقف بني إسرائيل مع نبيهم على مدار الآيات السابقة للجهر بالسمع و العصيان في قولهم " سمعنا وعصينا" ، فكذا هو الشأن مع ثنائية " سمعنا وأطعنا" سيمتحن أصحابها ومن الوهلة الأولى ، في مدى طاعتهم لأمر ا ، حيث نجد أن الآية التي ،هي نداء المولى عز و جلا للمؤمنين بعد نهيهم و تنبيههم على ما يحمله لهم الكافرون ، تلتها الآية المتضمنة لنسخ بعض الأوامر و التكاليف من أجل تعديـل بعض الأحكام و التشريعات بما يتنـاسب و نمو الجماعة المسلمة و أحوالها المتطورة .

فكان أول حدث و أكبره لامتحان المؤمنين في إيمانهم هو تحويل قبلتهم من بيت المقدس إلى البيت الحرام ، فبدأ أولا بتنبيههم إلى حقيقة نسخ بعض الآيات لقوله تعالى : « **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ منْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَن للهَ عَلَىٰ كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَن للهَ لَهُ مُلْكُ لسمَاوَاتِ وَ لأَرْضِ وَمَا لَكُمْ من دُونِ للهِ مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ* أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدلِ لْكُفْرَ بِ لإِيمَانِ فَقَدْ ضَل سَوَآءَ لسبِيلِ** » الآيات 106 – 107 – 108 من سورة البقرة .

تتضمن الآيات تحذيرا وتذكيرا في ذات الوقت ، تذكيرا بالأمة التي آثرت التشديد على نفسها لتزداد عصيانا لا طاعة ، وتحذيرا من الوقوع في أخطائها ليستمر الخطاب الرباني للجماعة المسلمة بالتذكير تارة و الأمر بالعبادة و الطاعة تارة أخرى .

و قبل أن يصل الحديث إلى تحويل القبلة يذكر المولى عز وجل لعباده أنموذج السمع و الطاعة المتمثل في سيدنا إبراهيم- عليه السلام - أول من أقام البيت الحرام بمعية ابنه إسماعيل حيث يقول جـلا شأنه : « **وَإِذِ بْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمهُن قَالَ إِني جَاعِلُكَ لِلناسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُريتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي لظالِمِينَ** » الآية 124 سورة البقرة ؛ فإبراهيم - عليه السلام- أبتلي بكلمات هي أوامر و تكاليف فأتمهن وفاء لقضاء ا فاستحق أن يكون إماما.

أما دعوته في توريث ذلك إلى بنيه فمشروطة بالعدل والصلاح « **لا يَنَالُ عَهْـدِي الظالِمِينَ** » فالظالم لا يستحق الإمامة حتى لو انتهى به النسب إلى إبراهيم عليه السلام . وما بنو إسرائيل إلا ذرية إبراهيم من ابنه إسحاق - عليهما السلام - و هذا تقرير لحقيقة الاستخلاف في الأرض والإمامة عليها سبيله الوحيد السمع والطاعة لا السمع والعصيان .

يستمر الخطاب القرآني ينقل صدى الأحداث التي كانت قائمة بين الجماعة المؤمنة والكافرة ليتبين البلاء الذي ابتلوا به فأظهر مدى إيمانهم وفي ذلك يقول جلا وعلا : « **قُلْ أَتُحَآجونَنَا فِي اللـهِ وَهُـوَ رَبنا وَرَبـكُمْ وَلنآ أَعْمَالنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْـنُ لهُ مُخْـلِصُـونَ** » الآية 139 من سورة البقرة .

وقوله : « **تِلْكَ أُمةٌ قَدْ خَلَتْ لهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلـونَ عَما كانُوا يَعْمَلُونَ** » الآية 141 سورة البقرة.

إلى أن يصل إلى الحدث الذي أثار بلبلة في صفوف المسلمين جراء ما يبثه الكافرون من تشكيك في الرسالة المحمدية و قد قال تعالى على لسانهم « **سَيَقُولُ لسفَهَآءُ مِنَ لناس مَا وَلاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ لتي كانُوا عَلَيْهَا قُل للهِ لمَشْرِقُ وَ لمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلىٰ صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ** » الآية 142 سورة البقرة .

يمتد الحديث عن تحويل القبلة في سبع آيات ينتهي بالفصل في هذه القضية بقوله عـز و جـل : « **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَل وَجْهَكَ شَطْرَ لمَسْجِدِ لحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلناس عَلَيْكُمْ حُجةٌ إِلا لذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ خْشَوْنِي وَلأُتِم نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلعَلكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَآ أَرْسَلنَا فِيكُمْ رَسُولاً منْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكيكُمْ وَيُعَلمُكُمُ لكِتَابَ وَ لحِكْمَةَ وَيُعَلمُكُم ما لمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَ ذْكُـرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ شكُـرُوا لِي وَلا تَكْفُـرُونِ** » الآيات150 – 151 – 152 .ففي نسخ بعض الآيات نعمة و رحمة وحكمة ، ا بها أعلم وجب حمده و شكره على ذلك .

يستأنف نداء المؤمنين من جديد بالاستعانة بالصبر والصلاة لأن ما ستحمله الآيات بعد ذلك ، كله تكاليف و أوامر وجب على المؤمن الالتزام بها شعاره دائما " سمعنا و أطعنا " لا كما قال بنو إسرائيل " سمعنا و عصينا " .

- -

لذا فلن نجد فيما تبقى من آيات حتى نهاية السورة إلا ما يحمل هذا المعنى السمع و الطاعة في كل ما سيرد من أمر أو نهيا سواء يبتدئ المولى عز و جل بمناداة المؤمنين كقوله :

« **يَٰأَيـهَا لذِينَ آمَنُـوا كُلُوا مِن طيِبَـاتِ مَا رَزَقْنَـاكُمْ وَ شكُـرُوا للهِ إِن كُنْتُمْ إِياهُ تَعْبُدُونَ** » الآية 172.

« **يَٰأَيهَا لذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ لقِصَاصُ** .... » الآية 178 .

« **يَٰأَيهَا لذِينَ آمَنُـوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ لصيَـامُ كمَا كُتِبَ عَلى لذِيـنَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تَتقُـونَ** »الآية 183.

« **يَٰأَيهَا لذِينَ آمَنـُوا دْخُلُـوا فِي لسلْـمِ كآفةً وَلاَ تتبعوا خطوات لشيْطَـانِ إِنهُ لكُمْ عَـدُو مبِينٌ** » الآية 208 .

أو يجيبهم المولى عز و جل عن أسئلتهم مثل قوله تعالى :

« **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس و الحج و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من اتقى ......** » الآية 189 .

« **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ منْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَ لأقربين و ليَتَامَىٰ وَ لمَسَاكِينَ وَ بْنِ لسبِيل وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِن للهَ بِهِ عَلِيمٌ** » الآية 215 .

« **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير و صد عن سبيل ا و كفر به و المسجد الحرام و إخراج أهله منه أكبر عند ا و الفتنة أكبر من القتل و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ... » 217 .

« **يَسْأَلُونَكَ عَنِ لخَمْرِ وَ لمَيْسِرِ قُلْ فيهما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلناس...... » الآية219.**

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ لمَحِيضِ........ » الآية 222 .

وإذا تتبعنا سياق الخطاب فيما يتعلق بهذه الآيات المتضمنة للتكاليف و الأوامر لن نجد المؤمن يتردد في طاعة أمر ربه كما سبق وأن وجدنا ذلك مع بني إسرائيل. بل هو الذي يسـارع إلى معرفـة ما يجب عليه من أمـر دينـه أو دنياه ، ليستجيب بالطـاعة لا بالعصيـان .

وكأن ثنائية السمع و العصيان هي في تناظر مع السمع والطاعة من أجل أن ينسجم بناء السورة و تتنامى معانيه وتتوالد دلالاته .

و قد سبق الحديث عن أصحاب البقرة التي هي عنوان عليهم يحمل هذه السمة القارة فيهم و هي السمع و العصيان ليكونوا عبرة وتذكرة للجماعة المؤمنة من جهة و من جهة أخرى ليعلم سر تحويل رسالة التوحيد من بني إسرائيل الذين كذبوا أنبيائهم و حرفوا عقائدهم إلى نبي عـ ـ ـربي هو خاتم الأنبياء لتبقى أمته من بعده تنشر رسالة التوحيد ، لقوله تبـارك و تعـالى : « **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمةً وَسَطاً لتَكُونُواْ شهداء عَلَى لناس وَيَكُونَ لرسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِـيداً وَمَا جَعَلْنَا لقِبْلَةَ لتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يَتبِعُ لرسُولَ مِمن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لكَبِيرَةً إِلا عَلَى لذِينَ هَدَى للـهُ وَمَا كَانَ للهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِن للّـهَ بِلناس لَرَءُوفٌ رحِـيمٌ** » الآية 143 سورة البقرة .

و قوله أيضا :« **كَانَ لناسُ أُمةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ للهُ لنبِيينَ مُبَشرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ لكِتَابَ بِلحَق لِيَحْكُمَ بَيْنَ لناسِ فِيمَا ختَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ختَلَفَ فِيهِ إِلا لذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جاءتهم لبَينَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى للهُ لذِينَ آمَنُواْ لِمَا ختَلَفُواْ فِيهِ مِنَ لحَق بِإِذْنِهِ وَ للهُ يَهْدِي مَن يشاء إِلَىٰ صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ** » الآية 213 سورة البقرة .

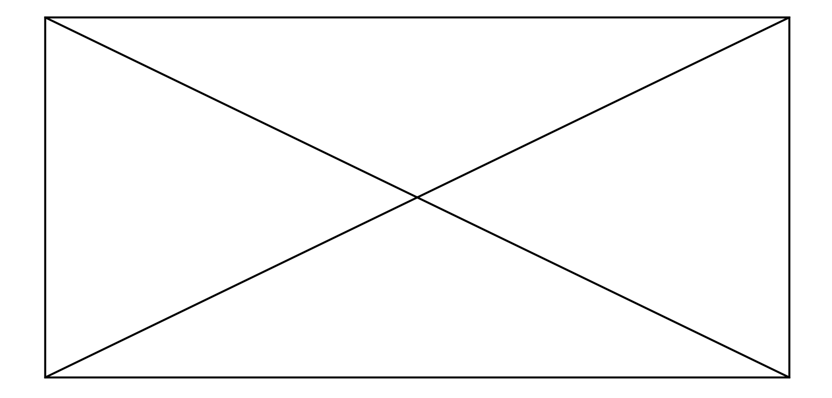
ومن نداء المؤمنين وإلزامهم بالتكاليف إلى أسئلتهم عما أشكل عليهم ، فتذكيرهم من حين إلى آخر بظلال الأمم السابقة وأخطائها حتى لا يسقطوا في سقطاتهم إلى أن نصل إلى نهاية السورة ، نجدها تقرر مبادئ الإيمان الحق والتي وقفنا عليها من خلال ثنائية الغيب والشهادة وثنائية السمع والطاعة مصداقا لقوله جلا وعلا : « **آمَنَ لرسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن ربهِ وَ لمُؤْمِنُونَ كُل آمَنَ بِللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبنَا وَإِلَيْكَ لمَصِيرُ** » الآية 285 سورة البقرة .

فالنتيجة الحتمية للإيمان هي : السمع والطاعة ، و بهذا تتحقق المعادلة التي سبق استخلاصها من فواتح سورة البقرة أثناء تناولنا لثنائية " للغيب والشهادة ".

الإيمان بالغيب ←── السمع والطاعة ←── هدى ←── المفلح (فائز)

فالفلاح في الدنيا و الآخرة يستلزم تحقيق هذه المعادلة ومثلما تقررت في بداية السورة ذاتها هي النتيجة والخاتمة للسورة ، لأن السورة كلها بنيت على هذه الحقيقة حقيقة الإيمان فسورة البقرة هي "سورة التوحيد" وإذ تصبح البقرة تسمية لها لما تمثله من مادية يتعلق بها البشر بما فيها من إغراء تغدقه شهواتها فينشغل العقل والقلب بما تمثله أمامه فتحجبه عن اختراق جدار المادة المحسوس للوصول إلى عالم الغيب.

ويمكننا الآن أن نمثل حتمية هذه الدلالات و علاقاتها المتشابكة بالمربع السيميائي :



- -

فبقرة بني إسرائيل شاهد و ممثل للسمة الراسخة فيهم و هي السمع و العصيان نطقوا بها تصريحا لا تلميحا و إصرارا دون خوف أو وجل ؛ لذا كانت تسمية هذه السورة باسم المعجزة التي كانت في حقهم ، و هي واحدة من كثير لأنها تفضح صورتهم الحقيقية و تمثلهم أحسن تمثيل .

فثنائية " السمع و العصيان " تجسدها قصة البقرة في أبسط الأشكال و أوضحها ، لذا فهي ممثلة على المربع السيميائي بعلاقة التشاكل و الانسجام مع الكفر لأنه النتيجة الحتمية لهذه الثنائية ، كما أنها تشكل علاقة تضاد مع الإيمان لأن نتيجته الحتمية السمع و الطاعة لا العصيان ، و بالتالي فالإيمان في تناقض مع الكفر و بالضرورة في تشاكل وانسجام مع السمع و الطاعة .

فالبقرة هي المثال البسيط و المعجزة الإلهية لقوم اختصوا برسالة التوحيد فما أدوا حقها فوجب انتقالها حيث لا تكون المادة حاجز عن حقيقة التوحيد لأن الإيمان لا يحتاج إلى معجزة وإنما يحتاج إلى الاعتراف بالحقيقة حيث تكتشفها العقول وتستشعرها القلوب.

فما كانت لتنفع المعجزات بني إسرائيل على كثرتها وما معجزة البقرة إلا إحداها وإذ تستأثر هي بتسمية السورة باسمها فلما تحتويه من دلالات وإيحاءات سبق الوقوف عليها.

وبساطة التسمية في القرآن الكريم تمثلها سورة البقرة المسماة بهذا الحيوان الأليف المعروف في حياة كل البشر، بما يسمح بترسيخ هذه المعاني في عقول كل الناس على اختلاف مستوياتهـم العلميـة و العقليـة فالبقـرة بماديتها تصبح عنوانـا " للتوحيد " .

البقرة قصة شعب تروي أخطاءه وحماقاته و تفضح حقيقته وسوء خلقه كأنما البقرة بحيوانيتها تجسدت في كل فرد منهم ، فأنى للعقول أن ترتدع فهو الجدل يسكنها والعنت و التشدد يقودها وعند الجحود بالنعمة يستوقفها . فللبقرة إيحاءات و دلالات جعلتها رمزا ميسرا لأي عقل بشري في الوقوف ولو على البعض منها ، في الوقت الذي تستأثر هذه التسمية في الاحتفاظ بشفرات بناء النص تدعو للبحث والنظر والتأمل أكثر.

فثنائية الغيب والشهادة تمحورت حولها مضامين السورة و توالدت عنها ثنائية السمع والطاعة فغدا نص السورة لحمة واحدة وكلمة واحدة هي التوحيد ، فسورة البقرة هي سـورة "التوحيد" فلا عجب الآن في أن نجد أول سورة بعد الفاتحة تسمى " **البقرة** ".

لأن البقـرة بماديتـها تحمل معنى الضد (الـروح / المادة) ولا حيـاة للروح إلا بالإيمان أي التوحيد .

و من جميل ما اختتمت به سورة البقرة الدعاء الذي أجراه ا على لسان المسلمين بصيغة الجمع لا المفرد لأن الفرد يعيش في جماعة و لا يستقيم حاله إلا بها ، وهي إما عونا له على الطاعة أو على المعصية .

ولأن السورة قد رسمت لنا في النصف الأول من آياتها صـورة الجماعة التي أبت إلا أن تكفر بالنعـم و تحرف العقـيدة و تعصي الأوامر في المقابل فإن النصف الثاني من آياتها (143 – 286) خطابا للجماعة المؤمنة يبين لهم حقيقة الإيمان ويوضح منهجه .

فتختلف الصورة و يختلف الجواب ، فهو مناقض لجواب الجماعة الكافرة ، فقد قالوا "سمعنا و عصينا" وهؤلاء أي الجماعة المؤمنة تقول " سمعنا و أطعنا " تتبعها بالاستغفار لما علمته من حق ربها عليها في الوقت الذي أتبعت "سمعنا وعصينا" بتعقيب المولى عز وجـل : « **وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** » إذن البون شاسع والتناقـض واضـح بين هاتيـن الثنائيتيـن .

تختتم السورة بالدعاء في قوله تبارك وتعالى **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبنَا وَلاَ تُحَملْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** » الآية 286 من سورة لبقرة.

و قبل الدعاء تقرر حقيقة التكليف التي لم تتجاوز أبدا حدود الطاقة التي هي في وسع كل إنسان،« أي ما تسعه و تطيقه و لا تعجز عنه ، و ذلك هو الممكن لذاته الذي يتعلق اختيار العبد بفعله »[1]. لذا فالدعاء واجب لما قد يأتي من نسيان أو يظهر نتيجة خطأ ومع هذا يبقى الخوف من العقاب عبرة ببني إسرائيل جراء إصرارهم على المعاصي ، فقد ابتلاهم ا بالجراد والقمل والدم و مسخهم قردة و خنازير ....

لذا فالمؤمنون يرجون ربهم أن يرحم ضعفهم فلا يكلفهم إلا ما يطيقون و يطلبون بعد ذلك العفو والمغفرة والرحمة و هي واردة تباعا متسلسلة، فلئن عفا عنهم فلا يعذبهم ولئن غفر

[1] - البقاعي : مرجع سابق، م 1، ص 556 .

لهم فقد كفر عنهم السيئات و الذنوب ، ولئن رحمهم زادهم من فضله ثوابا وأجرا ؛ فهل يوجد أفضل من هذا الدعاء ؟.

ولعلم الجماعة المؤمنة بعظم الأمانة التي حملوها فهم يؤكدون إيمانـهم با " **أنت مولانا** " و يستنصرونه " **فانصرنا على القوم الكافرين**". فكان الدعاء جامعا لكل ما يحتاجه العبد الضعيف و ما يفتقر إليه المجتمع ككل .

« ولما بشرهم بذلك عرفهم مواقع نعمه في دعاء رتبه على الأخفى فالأخفى على سبيل التعلي إعلاما بأنه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسيانا و لا بما قارفوه خطأ و لا حمل عليهم ثقلا بل جعل شريعتهم حنيفية سمحا و لا حملهم فوق طاقتهم مع أن له جميع ذلك ، وأنه عفا عن عقابهم ثم سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاتهم ، ثم رحمهم بأن أحلهم محل القرب فجعلهم أهلا للخلافة »[1]

إذن هذه هي حقيقة التوحيد و هذا هو مفهوم الإيمان اعتقادا وعملا ودعاء ورجاء و حملا لأمانة الاستخلاف في الأرض من أبينا آدم إلى أبينا إبراهيم– عليهما السلام- الذي سمانا المسلمين مرورا بأمثالهم من أنبيـاء بني إسرائيل ووقوفا عند رسلهم سيدنا موسـى وعيسـى - عليهما السلام - وانتهاءا بخاتم الأنبياء محمد- صلى ا عليه وسلم- هي الرحلة و هذه هي بعض معانيها التي أو جزتها سورة البقرة بآياتها الستة و الثمانين بعد المئتين تحكي الدروس و العبر و تقرر الحقائق والتكاليف .

هي سورة "البقرة" كلمة واحدة هي كلمة " **التوحيد**" في حقيقته ، والإيمان يحققه السمع والطاعة.إنها أطول سور القرآن يكشف لنا اسمها عن الشفرة الأساسية التي تضمنها حتى غدا عنوانا لها .

[1] - البقاعي : مرجع سابق ، م 1 ، ص 557 .

1– 3 - المستوى التداولي لسورة البقرة:

لا تكتمل المقاربة السيميائية إلا على ضوء المستوى التداولي حيث سنتتبع أثر التسمية على المتلقي مهما كان مستواه الثقافي ، لأن القرآن الكريم يخاطب كل الناس المسلم والكافر مهما علا شأنهم أو قل.

وهو كتاب وجب على المسلم قراءته والتدبر فيه وفي آياته ومن تكاسل عن ذلك فقد هجر كتاب ا مصداقا لقوله تعالى : على لسان نبيه « **وَقَالَ لرسُولُ يٰرَب إن قَوْمِي تخَذُواْ هَـٰذَا لقُرْآنَ مَهْجُوراً** » الآية 30 من سورة الفرقان .

والنص القرآني يفتح خطابه المباشر للمتلقي دون أي واسطة. حيث تصبح الكلمة فيه أمر لابد من السمع والطاعة له وهذه الصيغة في الخطاب لا تتواجد إلا في النص القرآني. فمن ذا الذي أمر بالسجـود في خطابه فتسجـد له الرؤوس ذليـلة خاشعة إلا الواحد الأحد الحي القيـوم.

فوجده الخطاب القرآني يلقى هذا التفاعل من متلقيه بهذه السكينة و الخشوع والطاعة و الخضوع .فهل يوجد صدى للكلمات كما هو الشأن مع الخطاب القرآني .

إن تسمية " سورة البقرة " تبدو بسيطة ببساطة أبسط الناس ثقافة ، ربما فلاح في أرضه يرى هّذا الحيوان الأليف الذي لا يستغنى عن فوائده، فيتساءل كيف يصبح حيوانه اسما لأول سورة بعد الفاتحة في القرآن الكريم ؟

فإن لم يسعفه التفكير في اكتشاف كل دلالات التسمية فلن يعجز عن تبين بعضها من خلال قراءتـه لمتن السورة و وقوفه عند قصة البقرة ، معجزة بني إسرائيل التي ما زادتهـم إلا قسـوة قلب و عصيان وتمرد ، فيتخذ منها العبر والدروس من قوم خانوا فهانوا على خالقهم ، وكأن البقرة علامة دالة أن الإيمـان ليس وليد معجزة وإنما وليد حواس سليمة تتلقف خطاب ربها بالسمع و الطاعة لا بالسمع والعصيان لقوله جـلا شأنه:
« **خَتَمَ للهُ عَلىٰ قُلُوبِـهِمْ وَعَلىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَـاوَةٌ وَلهُمْ عَـذَابٌ عظِيمٌ** » الآية 7من سورة البقرة .

فأول ما قد تتجلى من خلاله التسمية لأبسط الناس ثقافة أن تحيل هذه التسمية على منبعها الذي سيكشف عن حقيقة أصحابها الذين حرموا شرف الرسالة و أمانة تبليغ هذا الدين و انتقلت لغيرهم لكثرة عصيانهم ؛ مما سيظهر العلاقة بين الاسم و خطاب السورة لدى المتلقي .

فالبقرة رمز لمن أساء فحرم ، وظلم فما أبصر الحقيقة و إن كانت المعجزات تتوالى أمام ناظريه . فيستقرهذا الرمز في نفس المتلقي ، كمفتاح يساعد في فهم أسرار النص القرآني والرسالة المبثوثة من خلاله.

1-3-1-**اليهـ ـود و العـ ـ ـ ـرب**:

تمتد سيرورة دلالة التسمية من يوم أنزلت على آخر الرسل إلى يومنا هذا تحمل معانيها الدفينة التي لا تنتهي، يفهم منها كل زمن على قدر ما يتناسب و ما جد في أوضاع حياتهم، وتسمية البقرة اليوم لا تتوقف علـى هذه المعاني البسيطة وحسب ، وإنما تكشـ ف عن ثنائـ ية جديـ دة تشكل صراع اليوم و هي " **اليهود و العرب** ".

- -

إنه واقع مرير و أحداث داميـة لا تنتهـي تحكـي قصـة الصراع من أجـل الوجود، وكأن الأرض ضاقت بأهلها فما عادت تسعهم أو أن الفضاء ضاق بأنفاسه فما عاد يكفي الخلق في هذه البسيطة ؛ طبعا لا هذا و لا ذاك ، إنما الوجود ليس بقعة أرض كانت مهد الأنبياء بل ببساطة هي تحقيق ذات.

فتسمية البقرة لا تتوقف رمزيتها في المعاني التي قد تلقاها أول متلقي لها و إنما هي الآن تنطوي عن رسالة كبرى بدايتها ما كشفنا عنه من حقيقة التوحيد وهو الإيمان بالغيب كله وما يوجبـه من سمع وطاعـة و نهايتها إزاحة الغطـاء عن أصحاب البقرة (اليهود) وتعـرية هويتـهم حتى تتضح الكيفية التـي يجب التعامـل بها معهم ليتـوقف هذا الصراع .

البقرة هي صورة اليهود الحقيقية تفضحـهم بكـل مواقفهم و بينت عداوتهم للمسلمين مصداقا لقوله تعال":« **وَد كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ لكِتَابِ لَوْ يَرُدونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبينَ لَهُمُ لحَق** » الآية 109 من سورة البقرة .

«**وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَـارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلـةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ لمُشْرِكِينَ** » الآية 135 من سورة البقرة .

« **وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ لجَنةَ إِلا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** » الآية 111 من سورة لبقرة .

« **ما يَوَد لذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ لكِتَابِ وَلا لمُشْرِكِينَ أَن يُنَزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِن ربكُمْ وَ للهُ يَخْتَص بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَ للهُ ذُو لفَضْلِ لعَظِيمِ** » الآية 105 سورة البقرة .

هذه العداوة تكشف سوء سريرتهم و خبث أنفسهم ومع ذلك يظنون أنفسهم ولا يزالون كذلك ، أنهم شعب ا المختار لكن ما صورته سورة البقرة عكس ذلك تماما هم شعب شعارهم السمع و العصيان مع ربهم ، أينفعـهم بعـد ذلك السمـع والطاعة مع البشر ؟... إنهم ما عرفوا أدب الحوار مع ربهم فجادلوا وتعنتوا فقست قلوبهم ، أيجدي حوار الخلق معهم ؟... وهم قاتلوا أنبياءهم ما استطاعوا أن يجيبوا بالسلام معهم أينشرونه الآن مع من يرونهم أعداءهم و مغتصبي أرضهم ؟؟؟......

سورة البقرة خطاب التوحيد والمعاملة مع البشر للمسلم أو غيره رسائلها كثيرة و معانيها أكثر، قد نكون وقفنا على بعض منها وغاب عنا البعض ويمكننا أن نمثل الثنائية الجديدة بالمربع السيميائي بالشكل التالي:

(البقرة) **تضاد**

اليهود السلام

تشاكل **تشاكل**

الحرب العرب

تضاد

فاليهـود في تشاكل مع الحـرب وفي تضاد مع السـلام فهم إذن في تناقص مع العرب الذين هم في تشاكل مع السلام وفي تضاد مع الحرب . وتستمر هذه الثنائية (**اليهود والعرب**) مخلفة هذا الصراع يثور بالحرب وقد يسعفه السلام إلى أن يأتي آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى -عليه السلام- ليقضى على هذا الصراع و يحـل معـه سـلاما أبديا تقوم معه القيامة .

فلتسمية البقرة إيحاءات كثيرة للمسلم و لغير المسلم ؛ فبالنسبة للمسلم قد أوجزت له حقيقة التوحيد و بينت له الإيمان الصحيح المتبوع دائما بالسمع و الطاعة و الرجاء و الخوف و الامتثال للأوامر الربانية .

كما أنها تشرح سبب انتقال أمانة نشر التوحيد من بني إسرائيل إلى العرب و بذلك فهي تبين طبيعة العلاقة بينهما ، و تفسر حقيقة الصراع القائم إلى الآن ، و قد سبق و أن وقفنا عند ذلك أثناء دراستنا للمستوى الدلالي لسورة البقرة .

والبقرة لغير المسلم معادل موضوعي لرؤية واضحة عن الدين الإسلامي الذي ارتضاه المولى عز و جل لعباده و لن يقبل منهم غيره مصداقا لقوله تعالى : « **و من يبتغي غير الإسلامي دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**»الآية85 من سورة آل عمران كما أنها سبب كاف لعرض حقائق تاريخية كانت البقرة عنوانا لها، و لم يكن شيء آخر يتعلق بالإسلام و المسلمين، كأن تسمى السورة باسم التوحيد وإن حملت معناه أو باسم المؤمنين وإن بينت صفاتهم أو باسم الاستخلاف في الأرض أو الرسالة لتبين غاية الإنسان من وجوده وإن تضمنت ذلك.

و مع وجود الكثير من الأسماء التي تناسب مضامين السورة إلا أن المولى عز و جل قد اختار الاختيار الأفضل الذي قد يعد بمثابة الإعجاز في التسمية لتميز و تفرد القرآن الكريم بهذا الاختيار ، و هو من جهة أخرى مدعاة إلى جذب الآخر و التأثير فيه ، لأن هذا العرض بدأ منه و ينتهي إليه بشكل موضوعي يدعو لإعادة النظر من جديد في كل شيء برؤية عقلانية حكيمة .

لقد استطاعت التسمية أن تكون بحق مرتكزا دلاليا شكل بؤرة انبثق منها الخطاب و تمحورت حولها المعاني ، لتمكن المتلقي من التقاط واستقبال هذه الدلالات بالشكل الذي لو غاب فيه النص فهي كافية في استرجاع و استحضار الصورة من جديد واضحة وضوح صورة الحيوان في خيال الصغار قبل الكبار.

و بالتالي فتسمية السورة باسم البقرة هو اختيار مناسب دقيق مكن اسم السورة (العنوان) من تأدية وظائفه الانفعالية و الاختزالية و التكثيفية والإيحائية و وظيفة الإحالة نحو ما سمي به أي متن السورة .

فالبقرة باختصار رمز لدلالات كثيرة قد نكون و فقنا في معرفة بعضها مما سبق ذكره و لا يزال يحتفظ بسره قد يراه غيرنا في دلالات أخرى مختلفة تحتاج دائما للتبرير و التعليل آملين أن يكون تعليلنا مبررا لما وصلنا إليه من نتائج .

2 - **المقاربة السيميائية للمعوذات : سور(الإخلاص - الفلق – الناس)** :

جاءت سور(الإخلاص، الفلق والناس) خاتمة لكتاب ا وقد سميت بالمعوذات لأنها تحمي قارئها من كل شر، وقد كان سبب نزولها حين سحر النبي – صلـى ا عليـه وسلم - من طرف اليـهود فكانت الآيات الأحـد عشـر من سورة الفلق و الناس سببا في حل عقـد هذا السحـر.

وإن كان البعض يرفض قصة السحر لأنها تتنافى مع النبوة، وسواء صحت الحادثة أم لا، فإن الذي لا خلاف فيه أن المعوذات تحفظ قارئها من السوء لذا جعلت للرقية الشرعية شافية بإذن ا والأحاديث النبوية الشريفة دليل على ذلك منها قوله صلى ا عليه وسلم : (**اقرأ قل هو ا أحد والمعوذتين حيـن تمسي و حين تصبح ثلاث مرات يكفيك كـل شيء).**

كما أن السيدة عائشة رضي ا عنها قد ذكرت أن النبي - صلى ا عليه و سلم – كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث . و كذلك كان يفعل كل ليلة يأوي فيها إلى فراشه ، غير أنه يفعل ذلك بجمع كفيه و القراءة فيهما ثم يمسح ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه و وجهه و ما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات[1].

والمعوذات كما نرى كأنها سورة واحدة في تكامل معانيها كانتا سببا في جعل النص القرآني لحمة واحدة منسجمة انسجام تام مع أول سورة تصدرته ، يقول في ذلك الإمام البقاعي : « لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم في قوله (**إهدنا الصراط المستقيم**) و بالهداية و التقوى التي هي شعار التائب في قوله **(هدى للمتقين**) و ذلك أول منازل السائرين ، و ختم بتقرير الإخلاص **فيه** كما يشعر به الأمر " **قل** " و ذلك هو نهاية المقامات عند العارفين ، فتم بذلك الدين ، و انتهى سير السالكين ، و ختم الإخلاص بأنه تعالى لا كفؤ له ، فتوفرت الدواعي على الانقطاع إليه و العكوف عليه »[2] .

« أمر بالتعوذ برب هذا الدين موافقة لإياك نعبد و إياك نستعين من شر ما يقدح فيه بضرر الظاهر أو في الباطن و هم الخلائق فبدأ بما يعم شياطين الإنس و الجن في الظاهر و الباطن ، ثم أتبع لما يعم القبيلين و يخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح الظاهر ، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر، وفي ذلك إشارة للحث على معاودة القراءة من أول القرآن كما يشير إليه قوله تعالى (**فإذا قرأت القرآن-أي أردت قراءته- فاستعذ با من الشيطان الرجيم**) النحل الآية 98 »[3] .

أي بعد أن تمت الاستعاذة من خلال قراءة آخر سور القرآن الكريم سورة الناس فإنه سيتم الانتقال مباشرة إلى بداية المصحف الشريف مع سورة الفاتحة و البقرة من جديد.

فسبحان **من** أحكم آيات كتابه فجعلها بهذا الانسجام على نزولها منجمة في أوقات متباينة من أماكن مختلفة .

---

[1] - صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ص 133 – 134 .

[2] - البيقاعي ، مرجع سابق ، ص 603 .

[3] - البقاعي : مرجع سابق ، ص 603 .

2 - 1 – **المستوى التركيبي للمعوذات**:

2 – 1 – 1 – **سورة الإخلاص** :

تتشكل التسمية في سورة الإخلاص من الوحدة اللغوية " الإخلاص" و هي عبارة عن مصدر مكون من الوحدات الصوتية : ال – إ –خ –لا – ص .

نتلمس من خلال سيماتها الصوتية ما يتشاكل مع معانيها اللغوية حين نقرؤها على المستوى الدلالي .

نجد أن اسم سورة الإخلاص كغيره من الأسماء ورد معرفة لأنه سينظم لكلمة سورة وهي نكرة ، فالتعريف يزيل الإبهام و يدعو للوضوح وكذلك هو الإخلاص في الإيمان حقيقة واضحة لا يشوبها شيء و لا يقبل المولى عز و جل معه أي شريك سواء في الاعتقاد أو العمل .

أما لفظة إخلاص فقد بدأت بالهمزة و هو الصوت الحلقي الدال على العمق المحيل على منبع الإخلاص وهو أعماق الذات الإنسانية يتبعه صوت الخاء المهموس حيث يتطلب جهد أثناء نطقه يوازي الجهد الذي لابد أن يبذله للإنسان حتى يكون مخلصا صادقا في إيمانه ، و في ذات الوقت يحمل الهمس طبيعة الإخلاص الخفية و التي لا يعلم همسه إلا ا . ليجهر بها عالية في صوت اللام المستعلية و المتصلة بالمد، واللام صوت مجهور مفخم تتناسب صفته مع أثر الإخلاص في النفس لأن المؤمن إذا أخاص في إيمانه با فحتما سيجهر برفض الشريك مهما خفي أو ظهر.

كما أن هذه اللام الممدودة تشكل "لا" النفي الموجودة في كلمة الإخلاص و هي كلمة التوحيد (لا إله إلا ا) .

و هذا انسجام لطيف بين كلمة الإخلاص مع معناها فاللام التي توسطتها هي صلب الحقيقة التي تقول : لا لأي شريك مع المولى جلا و علا لأنه واحد أحد فرد صمد لم يجعل معه ندا أو شريك و لا يقبل إلا الإخلاص في الاعتقاد و العمل .

و يعود الهمس مرة أخرى مع صوت الصاد ، وكأن الإخلاص منبعه و حقيقته الخفاء و طبيعة هذا الهدوء الذي يبعثه الهمس في صفاء و سكينة

2 – 1 - 2- **سـورة الفلـق** :

تتشكل التسمية في سورة الفلق من الوحدة اللغوية المعرفة " الفلق " وهي مكونة من الوحدات الصوتية : **ال – ف – ل – ق** .

نتلمس من خلال سيماتها الصوتية ما يتشاكل مع معانيها اللغوية حين نقرؤها على المستوى الدلالي.

و كأن الشر يبدأ في السر و الخفية مع صوت الفاء المهموس ثم ينتشر و يستطيل مع اللام المتعالية ليظهر ويرى أثره و يزداد سوءه بانضمام صوت القاف المجهور والحلقي المخرج ، يحيل بذلك على الظلام و وقوب الشر و استحكامه، زادته ألف ولام التعريف بروزا و ظهورا يفضح بها حقيقة أصحابه .

2 – 1 - 3– **سـورة النـاس** :

كذلك هي سورة الناس فقد تشكلت من وحدة لغوية واحدة متكونة من الوحدات الصوتية التالية : **ال – نا – س** .

و ميزات هذه الأصوات هي الأخرى تكشف عن المعاني المتضمنة لاسم الناس ، فصوت النون الذي سمته الغنة التي تنطوي عن أنس متوار في هذا الإيقاع أثناء نطق هذا الصوت يتناسب مع طبيعة الإنسان الذي من شأنه أن يأنس بغيره لذا قيل أنه سمي بالإنسان لإيناسه بغيره .إضافة إلى أن صوت النون مضعفا بالشدة كأنها توحي بترسيخ هذه الصفة لدى الإنسان و هي الأنس بغيره ، و ما سيترتب عنه من وسوسة .

و صفات صوت النون المنظم إلى المد يظهر الراحة والسرور الذي يأتي من أنس الإنسان بغيره أما صوت السين و هسهسته فما هي إلا صورة لهذه الميزة البشرية و هي حديث الإنسان مع نفسه و غيره . طبعا الحديث ليس دائما خيرا لذا جاءت السورة تنبه إلى هذا النوع من الحديث و هو الوسوسة التي تحمل معها السوء . وجاءت التسمية معرفة أيضا لتوضح طبيعة الوسوسة و ما ينجم عنها.

فالميزات الصوتية تتناسب مع الدلالات اللغوية لأسماء السور الثلاث : الإخلاص ، الفلق و الناس ، و هذا ما يترك أثره على المتلقي منذ الوهلة الأولى فيتفاعل و يتجاوب مع التسمية من قبل أن يبدأ قراءة السور .

2 – 2 – **المستوى الدلالـي للمعـوذات** :

2 – 2 – 1 – **سـورة الإخـلاص** :

الإخلاص مصدر مأخوذ من الجذر "خلص"

و خلص يخلص خلوصا وخلاصا : إذا كان قد نشب ثم نجى و سلم ، وأخلص الشيء : اختاره ، والمخلص : الذي أخلصه ا ، جعله مختارا خاليا من الدنس ، وكلمة الإخلاص (**لا إله إلا ا**) و الإخلاص في الطاعة : ترك الرياء فيها ، والخلاص يكون مصدر لشيء الخالص[1].

[1] - ابن منظور ، مرجع سابق ، ص 125 .

الخالص من الألوان : ما صفى و ما نصع ، الخلاص و الإخلاص و الإخلاصة : ما خاص من السمن إذا طبخ ، والخلاص ما أخلصته النار من الذهب و الفضة . ومنه خلاصة الكلام أي موجزه[1] .

ويوم الخلاص : الفوز بآخرة صالحة . و خاص خلوص و خلاصا ، وخلاص القوم : اعتزلهم تخاص منهم فانفصل و تجرد[2] .

إن المعاني التي تضمنها الجذر خاص يجمعها معنى أساسي و هو صفا صفو و صفاء ، بمعنى إن المعاني السابقة الذكر على اختلافها تجمعها هذه الصفة بوجه من الوجوه و تكاد تمثل جوهر الإخلاص .

فالصفاء يعني النقاء و هذا ما يحمله معنى أخاص ، الخاص ، الخلاص ، الخلاصة ، الإخلاصة ، خاص خلوصا. والخالص من اللون ما صفى ونصع وهذا ما يدل على معنى الصفاء و كذا هي خلاصة الشيء فهي أحسن ما فيه تحيل أيضا على الصفاء . و خاص بمعنى نجا أي قد صفت له الحياة من كل أذى أو خطر، أما خاص بمعنى اعتزل فتدل على الصفاء الحاصل للمعتزل .

فكأنما الإخلاص يعني بالضرورة الصفاء لذلك كانت كلمة الإخلاص هي لا اله إلا ا أي هذه الكلمة لا يقولها إلا قلب صاف من كل أنواع الشرك ،ما خفي منها وما ظهر ، فالصفاء عنوان الإخلاص.

فالدلالة الأولية لاسم سورة الإخلاص من الناحية اللغوية تظهر واضحة في كشف دلالات التسمية على متن السورة .

فهذا المصدر سيبين لنا حقيقة التوحيد المنزه للذات الإلهية لبيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال لدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال ، ونفي شوائب النقص و الاختلال ، المثمر لحسن الأقوال و الأفعال و ثبات اللجاء و الاعتماد في جميع الأحوال ، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص[3].

و سورة الإخلاص تتضمن أربع آيات هي :

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 126 .

[2] - لويس معلوف : مرجع سابق ، ص 191 .

[3] - البقاعي : مرجع سابق ، م 8 ، ص 575 .

« **قل هو ا احد * ا الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد** ».

« و لما كان المقصود من القرآن دعوة العباد إلى المعبود و كان المدعو إلى الشيء أحوج ما يكون إلى معرفته ، و كان التعريف تارة للذات و تارة للصفات و تارة للأفعال و كانت هذه الأمة ـ أشرف الأمم لأن نبيها أعلى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام- وكانت هي الختام أشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القرآن وأنهى البيان في ذلك إلى حد لا مزيد عليه و لم يقاربه في ذلك كتاب من الكتب السالفة[1].

من أجل أن يتحقق الصفاء في أفهام العقول تجاه حقيقة المولى عز و جل التي لا يستطيع أن يدركها أحد إلا كما أرادها ا أن يبينها لخلقه من باب تقريب المعنى لا لإدراك الحقيقة بذاتها ، فتعالى ا أن تحيط بوصفه الكلمات لذلك قال عز و جل : « **ليس كمثله شيء و هو السميع البصير**» الآية 112 من سورة الشورى ، وقوله أيضا « **سبحان ا عما يصفون** » الآية 159 سورة الصافات .

فسورة الإخلاص هي خلاصة التعريف بالمولى عز وجل لذلك كانت تعدل ثلث القرآن كما ورد عن النبي صلى ا عليه و سلم أنه قال : (**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**)[2] .

وهي تعدل ثلث القرآن ذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد ، أحكام ، وقصص وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن[3].

أما الغزالي فيرى أن أقسام القرآن ثلاث هي معرفة ا و معرفة الآخرة و معرفة الصراط المستقيم فهذه المعارف الثلاثة عنده هي المهمة و الباقي توابع وسورة الإخلاص هي إحدى ثلاث ، و هي معرفة ا و توحيده و تقديسه عن مشارك في الجنس و النوع وهو المراد بنفي الأصل و الفرع و الكفؤ و وصفه بالصمد يشعر بأنه الصمد الذي لا مقصد من الوجود للحوائج سواه [4].

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 577 .

[2] - صحيح البخاري : ص 233 .

[3] - محمد علي صابون إيجاز البيان في سور القرآن ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 2001 ، ص 237 .

[4] - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : جواهر القران و درره ، دار الكتل العلمية ، لبنان ، ط 2 ، 2005 ، ص 61 .

فسبحان ا و تعالى المنزه عن الشبيه و النظير و المكافئ و المثيل فلا زوج و لا ولد ، ولا حاجة بوجه إلى أحد ، بل له الخلق و الأمر ، قال آمرا لنبيه صلى ا عليه وسلم – ليكون أول كلمة فيها دال على رسالته ، ردا على من كذبه في خاصة نفسه ، و يكون البيان جاريا على لسانه صلى ا عليه و سلم ليكون إلى فهم الخلق عنه بتلك الصفات العلى أقرب لما له من المجانسة : (قل) و المراد كل من يمكن القول له سواء كان سائل بالفعل أو غير ذلك ، ففي إطلاق المشير إلى تعتيم ردا لمن أقر بلسانه – صلى ا عليه وسلم – إلى العرب خاصة[1].

لأن الخطاب موجه لكافة الناس لمعرفة المولى عز و جل للحصول على المعرفة الصافية من كل شك أو خطأ ، فهو تعريف و تصحيح في حق الذات الإلهية لمن يشوب اعتقاده شك أو اشتباه .

إنه الصفاء في الاعتقاد الذي لابد أن لا يكدره شيء كي تبقى حقيقته بصفاء البياض الذي يشع نورا ، إنه نور الحقيقة الإلهية و التي أضاءت هذا الكون مصداقا لقوله تعالى : « **ا نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يقاد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نور على نور يهدي ا لنوره من يشاء و يضرب ا الأمثال للناس و ا بكل شيء عليم** » الآية 35 من سورة النور .

ولأجل أن يكون الخلاص بالاعتقاد صافيا اختار المولى عز و جل في وصف ذاته بما لا يدع لأي خاطر أن يجوب العقل في البحث عن وجه مقاربة بين الذات الإلهية و غيرها من المخلوقات فكانت بذلك جميع كلمات السورة من الدقة و الضبط من الناحية اللغوية و الدلالية بما لا يسمح للعقل من إيجاد مداخل تشكيك في وجود هذه الحقيقة .

لذا ابتدأ القول ب(هو) لأنه الاسم الشريف الذي هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر إلى ذاته و إلى أنه واجب الوجوب لذاته ، وأن هويته ليست مستفادة من غيره أو موقوفة على شيء سواها ، فإن كل من كانت هويته مستفادة من غيره أو موقوفة

[1] - البقاعي ، مرجع سابق ،ص 577 -578 .

عليه فمتى لم يعتبر غيره فلم يكن هو هو ، وما كانت هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر غيره أو لم يعتبر[1] .

ثم اختار من أسمائه ليعرف هو اسم الجلالة ا لدلالة على جميع صفات الكمال : الجلال و الجمال ، ولأنه اسم جامع لجميع أسماء ا الحسنى ، و هذا الاسم هو الذي سمى به نفسـه و هو أخـص أسماءه لقوله تعالـى: « **إني أنا ا رب العالمين** » الآية 3 من سورة القصص .

كما أن هذا الاسم لم يسم به أحد من خلقه لا حقيقة و لا مجاز و كل الأسماء تابع إليه على سبيل الوصف لقوله تعالى : « **و الأسماء الحسنى** »الآية180 من سورة الأعراف وما يرد بعده نعتا له وصفة . وهو اسم يدل دلالة العلم على الاله الحق و هو يدل عليه دلالة جامعة ، و يقال أسماء ا ولا يقال أسماء الرحمان أو أسماء القادر[2].

لذلك لا يوجد لهذا الاسم نظيرا في اللغات الأخرى و هذا ما يحول دون ترجمته ترجمة توفي معناه ، « ففي الانجليزية تترجم ب god وهي كلمة لا تثير في ذهن القارئ الانجليزي ما تثيره كلمة ا في ذهن القارئ العربي ؛ فكلمة god في الانجليزية تؤنث ب goddess و تجمع ب gods بينما ا ، وهو واحد لا شريك له كلمة ليس لها مثنى و لا جمع و لا مؤنث ، إن التصور الذي تشير إليه كلمة "ا " سبحانه و تعالى يقضي على الشرك بينما god لا تقضي على هذا التصور»[3].

وكذلك هي كلمة أحد فقد رتبت الأحدية على الإلهية دون العكس لأن الإلهية عبارة عن استغناء عن الكل ، و الاحتياج الكل إليه ، وكل ما كان كذلك كان واحدا مطلقا ، و إلا لكان محتاجا إلى أجزائه ، فالإلهية من حيث هي تقتضي الوحدة و الوحدة لا تقتضي الإلهية وعبر به دون (واحد) لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة غالى حد لا يكون شيء أشد منه و الأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلا ، لا معنوية من المقومات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية كالمادة و الصور ، و لا حسية بقوة و لا فعل لكونه سبحانه منزه عن الجنس و الفصل و المادة

---

[1] - البقاعي ، مرجع سابق ، ص 578 .

[2] - أحمد الشرباصي ، موسوعة له الأسماء الحسنى ص 15 .

[3] - محمود السعران : علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي – ملتزم الطبع و النشر ، دار الفكر العربي ،القاهرة ط 2 ، 1987 ، ص 125 .

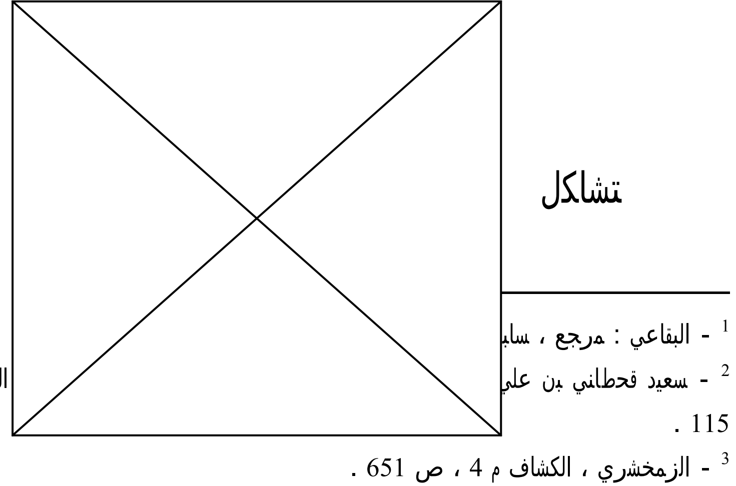
والصورة و الأغراض ... وسائر وجوه التثنيه التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللائقة بكرم وجهه و عز جلاله أن يشبه شيء أو يساويه [1] .

فهو الصمد الذي تصمد إليه أو تقصده جميع المخلوقات بالذل و الحاجة و الافتقار ، و يفزع إليه العالم بأسره وهو الذي كمل في فعله و حكمته و عظمته و رحمته ، و سائر أوصافه ، فالصمد هو كامل الصفات و هو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات[2].

لم يلد لأنه لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحب أو ولد و قد دل على هذا المعنى قوله « **أنى يكون له ولد**» الآية101 من سورة من سورة نافعة يوم الخلاص الأنعام و " لم يولد" لأن كل مولود محدث و جسم ، و هو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد[3] .

إذن سورة الإخلاص هي الصفاء و ما تحمله معانيه من نقاء يجلي حقيقة الذات الإلهية كما أرادها هو ، إنه صفاء في الفهم و الاعتقاد لمن صدق بذلك فقد نجا، فكانت له سورة الإخلاص خلاص و نجاة إنها السلامة من الفتن لمن آمن بصفات ربه فاعتزل بذلك كل ما يفسد عنه إيمانه بربه ، إنه الإخلاص حقيقة التوحيد التي لا يقبل معها الشرك لذا كانت خلاصة معرفة ا ، كافية شافية ، نافعة ليوم الخلاص لمن عرف قدر ربه و عرف بعجزه عن معرفته كما قالها ذات يوم الصديق رضي ا عنه : " سبحانه من لم يجعل لخلقه سبيلا لمعرفته إلا بالعجز عن معرفته" .

و إذا ما حاولنا أن نتمثل جوهر الإخلاص على المربع السيميائي فسيكون بالشكل التالي :



[1] - البقاعي : مرجع ، ساب

[2] - سعيد قحطاني بن علي ... السنة ، دار الإمام ملك للكتاب ، الجزائر ، 2001 ، ص 115 .

[3] - الزمخشري ، الكشاف م 4 ، ص 651 .

الصمد كفؤ

تضاد

فا أحد لن يكون أبدا مخلوقا ، فهو في تضاد مع خلقه و في علاقة تناقض تام أن يكون له كفؤا أحدا ، و في تكامل مع صفته الصمد التي هي أيضا في تناقض تام مع ما هو مخلوق لأن هذا الأخير هو الذي في حاجة لا غنى له عنها للصمد المستغني عن كل شيء و كل مخلوق حتما هو في تشاكل مع الكفؤ لأنه مخلوق مثله.

2 - 2 – 2– **سـورة الفلـق**:

ورد في معاني لفظة الفلـق أنها الشق وهي مصدر ومنه الفلـق ما تفلـق منه والفلوق : الشقوق لذا نجد في القرآن الكريم (**فالق الحب و النوى**) ، أي الذي يشق حب الطعام و نوى التمر للإنبات[1].

[1] - ابن منظور : مرجع سابق ، ج 5 ، ص 156 .

ففلق ا الحب بالنبات شقه . والفلق : الخلق و فالق : خالق . فالفلق جميع المخلوقات ، وفلق ا الفجر أبداه و أوضحه و قوله تعالى " فالق الإصباح " يمكن أن يكون معناه خالق الصباح ، كما أن الفلق تعني بيان الحق بعد إشكاله، وقيل أيضا أنه وادي في جهنم أما الفلق والفليق فهي الداهية و الأمر العجب [1].

معاني الفلق بالإمكان جمعها في معنى أساسي : هو الشق ومنه كان كل ما ينفلق عن غيره فلق ، وهو جميع الخلـق بما في ذلك الصبـح ، فكل ما ينفلـق هو يخرج من ظلمة إلى نور.

هذا ما يكشف لنا عن العلاقة بين التسمية بالفلق ومعاني السورة فقد جاءت لتبين للإنسان الخطر الذي يتهدده من محيطه الخارجي .أما إذا نظرنا في معنى الداهية و الأمر العجب فهي أيضا تشير إلى الخطر و الضرر الذي يجب الاحتراز منه ، وكذلك الأمر حين يسمى وادي في جهنم بالفلق .

تتناسب هذه المعاني مع اللفظة التي افتتحت بها السورة وهي الاستعاذة **(قل أعوذ برب الفلق)** ، وبما أن كل ما انفلق فقد خرج من ظلمة إلى نور، فالاستعاذة هي أيضا خروج من ظلمة الشر إلى نور رب العالمين ، فهي لجوء إلى ا من الظلمة مهما كان مصدرها إلى رحمة رب العالمين .

و إذا ما تدبرنا في متن السورة سيظهر انسجام هذه الآيات الخمس في دلالتها مع العنوان أي اسم السورة .

سورة الفلق تتضمن خمس آيات هي: « **قل أعوذ برب الفلـق * من شر مـا خلـق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفـثات في العـقد * ومن شر حاسد إذا حسد**».

بدأت السورة بالأمر (**قل**) للجوء إلى الرب المسير لشؤون خلقه ، لذا كانت الاستعاذة با النقطة المركزية في النص ، هي مطلع السورة وهو اختيار للمفردة الدالة على غاية النص و مقصده في دعوة الإنسان إلى الربوبية المؤثرة و الفاعلة في الكون و الحياة والإنسان ، فجاءت سورة الناس أيضا تتضمن الدعوة إلى الربوبية ، ربوبية ا للكون ، لذا سميت بالمعوذتين ، فالإنسان يشعر بربوبية ا للكون ، وربوبيته للناس و الخلق

[1] - ابن منظور :مرجع سابق ، ص 157 .

- -

فيطمـئن في كنف الربوبيـة الحاني ويدرك أنه مسئـول عن أفعاله ، وأن سلوكه يخضـع لاختياره[1].

لذا وجب على العبد الضعيف أن يلجأ لربه الرحيم الحليم ليحتمي بحماه و يلوذ إليه من كل شر ، بقوله **(أعوذ)** أي ألجئ و أستجير با .

و لأن الرب هو الذي فلق كل شيء بإيجاده ، كالعيون التي فلقت بها ظلمة الأرض و الجبال و كالأمطار التي فلقت بها ظلمة الجو و السحاب ، و كالنبات التي فلقت به ظلمة الصعيد، و كالأولاد التي فلقت بها ظلمة الأحشاء، و كالصبح الذي فلقت به ظلمة الليل، و ما كان من الوحشة ما حصـل من ذلك من الطمأنينة والسكون والأنس و السرور . والفلق كل شيء انشق عنه ظلمة العدم ، وإذا خص في العرف بالصبح لأنه ظاهر في تغير الحال و محاكاة ليوم القيامة الذي هو أعظم فلق يشق ظلمة الفناء و الهلاك بالبعث و الإحياء ، فإن القادر على ما قبله بما نشاهده قادر عليه ، لأنه لا فرق ، بل البعث أهون في عوائد الناس لأنه إعادة ، كذا سائر الممكنات ومن قدر على ذلك قدر على إعادة المستعـيذ من كل ما يخـافه و يخشـاه[2] . فمعـاني الفـلق لا تـتوقـف عند مشـهد الخـلق بـل هي صـورة حـية عن اليـوم الأعـظـم الـذي سيفـلق عن الحـقيـقـة الكـبرى فينجـلي نـورهـا عـن ظلـمة مـا كـان قبلـها .

والفلق تكشف عن دلالاتها الواسعة التي تمتد إلى أول سورة بعد الفاتحة و هي سورة البقرة المجسدة لحقيقة التوحيد ، تمثلت في البدء بالإيمان بالغيب و يتبعه بالضرورة السمع و الطاعة يكملها التضـرع بالدعاء للمولى عز و جل بأن يتجـاوز الضعـف و يعين على الطاعـة .

هي سورة الفلق تكمل حقيقة الوجود البشري و سعادتـه ، حيث يأمر الرب الرحيم العليـم بما يصلح شؤون خلقه ، باللجوء إليه ليحميـهم من كل شر في قوله تعالى : **(قل أعوذ)** ، هذا الاعتراف بالضعف وطلب المعونة من الخالق دلالة الحاجة إلى الاستجارة به من كل شر حتى يستقيم حال البشر و تطيب معيشتهم وهذا الشر ليس نبعه الوحيد

---

[1] - عبد السلام أحمدالراغب : الدراسة الأدبية – النظرية و التطبيق ، نصوص قرآنية – دار القلم العربي ، دار الرفاعي للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2005 ، ص 134 – 135 .

[2] - البقاعي :مرجع سابق ، ج 8 ، ص 604 .

المحيط الخارجي للإنسان بل أيضا مصدره الإنسان ذاته وما توسوس به نفسه سواء كان سببه الإنس أو الجن . و بهذا تكتمل رسالة القرآن للعبد الذي يرجو الهدى .

إنه الانسجام التام بين آي و سور القرآن الكريم و كأنه لحمة واحدة من بدايته إلى نهايته ، و كذا هي التسمـية في النص القرآنـي . فـإن لم نستطـع الوقـوف على جميعها في بحث بسيط كهذا.فإن اختيارنا للاسم الأول بعد الفاتحة وهي سورة البقرة وآخر الأسماء في القرآن الكريم لكي نتلمس هذا التكامل والاختيار المناسب و الدقيق لأسماء السور .

فإن كانت سورة البقرة سورة التوحيد و ما يوجبه من التزامات ، تأتي سورة الفلق والناس لتبين مكامن الشر التي تقطع الطريق للوصول إلى ا والسير على الصراط المستقيم ، لذا بين لنا المولى عز و جل ذلك الخطر من خلال المعوذتين ، فعلى الإنسان إذن أن يبقى دائما على صلة بربه ، بالاستعاذة بقدرته مما قد يصيبه من شر قد ينفلق في أي لحظة من أي مكان.

فالمولى جلا و علا يخبرنا بهذا في قوله (**ومن شر غاسق إذا وقب**) أي من شر الظلام إذا اشتد سواء كانت هذه الظلمة حسية أو معنوية ، لأن الظلام يحمل معه خطرا ما أقله أنه مخيف ويبعث الرعب في النفس وإن كانت بعيدة عن أذاه **.** و في الظلام يعجز الإنسان عن معرفة الأشياء من حوله ليتبين ضررها من نفعها ، ولو تبين ذلك لوجد صعوبة التفلت من ذلك ، خاصة حين تشتد الظلمة ، وإن السير على الطريق المعبد إذا أظلم الليل كسير أعمى يخشى على نفسه من كل خطوة يخطوها . فشر الخلق لا ندري متى يحل بنا فنتحاشاه. فسبحـان الذي علم بذلك فدعـانا إلى حماه .

« وكلمة الفلق و ما فيها من إبهام تتناسق مع الجو العام للسورة ، و في قوله تعالى : (**من شر ما خلق**) ما الموصولة ، و تكثير(**شر**) و (**كل**) الشمولية تزيد الجو غموضا و خفاء ، ثم يضيف (**غاسق إذا وقب**) و المراد به الليل إذا غم و طم فيه رهبة و غموض و خفاء ، و (**النفثات في العقد**) أيضا النفث في العقد صورة فيها الغموض وإبهام و خفاء ، و شعور الحسد باطن غامض[1].

[1] - عبد السلام أحمد الراغب : مرجع سابق ، ص 89 .

و قد خص المولى جلا وعلا في سورة الفلاق نوعا خاصا من الشر وهو شر السحر والحسد لما له من عظيم الضرر بالإنسان و لأن شرارة السحر و الحسد خفية ، خصها بالذكر من بين ما عمه الخالق و ذلك أن الخفي يأتي من حيث لا يحتسب فيكون أضر[1].
فهذا الخفاء هو الذي ينطوي على الظلمة التي يتضمنها الغسق .
« ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في وقوبها لما فيه من تفريق المرء عن زوجه وأبيه وابنه ، و نحو ذلك من ضنى الأجسام و قتل النفوس فكل سحر شر بخلاف الغاسق و الحاسد فقد لا يضر»[2] .
و إذا كان السحر ظلمة تنفلق عن نفس خبيثة تنفث عقدها ، فإن الحسد أيضا ظلمة تنفلق عن صدر صاحبها .
فشر الخلق و الغسق و السحر و الحسد جميعها قد اشترك في انفلاقه عن ظلمة ما فهي خطر لابد للإنسان أن يلجأ إلى حمى ا منه ، و لأن الخطر عظيم و قد يحدث في أي وقت كان الأمر و بهذه الطريقة العملية السريعة (**قـل**) و ليس تعوذ فهو إجراء فعلي يقوم به المؤمن أثناء قراءته فيقر بضعفه وحاجته لربه .
الفلق إذن هو كل الخلق يصبح مصدر خطر خارجي يتهدد الإنسان في أي وقت ، لا يعلم متى يصيبه سوى رب الفلق ، فكان هذا الاختيار للفظ الرب دون سواه لأنه هو المدبر و المسير لشؤون خلقه .
فمعاني الفلق تتابعت كعادة النص القرآني من بداية السورة لنهايتها تتنامى معانيها و تتسع دلالاتها بحيث تتجمع كل المعاني لخدمة هدف السورة و غايتها .
فالفلق سواء كان الخلق عامة أو بعض مظـاهره كالصبح الذي يحيل على مشهد يوم القيامة ، أو كان وادي في جهنم أو هو الأمر العجب ، فالمعاني جميعها تحث العبد على اللجوء إلى خالقه لينعم بالحماية في ظل رحمته .
« فخطاب السورة موجه لتشكيل عقل الإنسان بترك الخرافة و نبذ مفهوم الأرباب و الاعتقاد بالربوبيـة المطلقة فلا مؤثر و لا نافع و لا ضار إلا ا وحده ، فهناك ثنائية

---

[1] - البقاعي : مرجع سابق : ج 8 ، ص 604 .
[2] - المرجع نفسه ، ج 8 ، ص 605 .

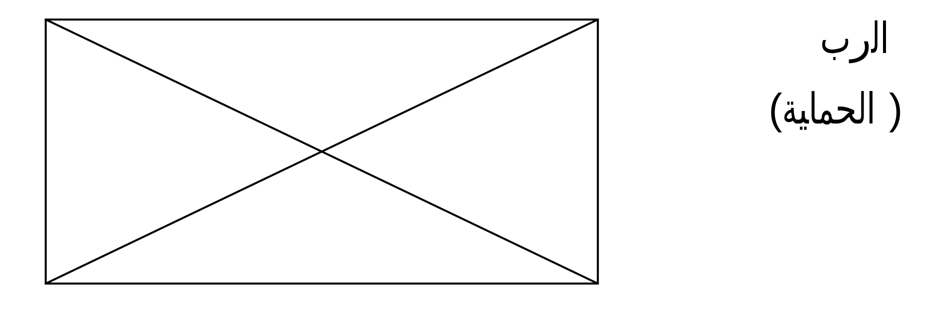
خالق مدبر متصرف ، وعبد مخلوق منقاد و خاضع له . و هكذا يتحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية الواحد القهار فيشعر بالثقة و القوة و المساواة و لا يشعر بالدونية أمام عباد ا مهما كانت صفاتهم و ألقابهم و أدوارهم[1] » .

و هذه هي حقيقة التوحيد التي يسعى الخطاب القرآني إلى ترسيخها في نفس المسلم من خلال جميع سوره ، و في سورة الفلق و سورة الناس تصبح ممارسة فعلية واستجابة سريعة لأوامر ا .

خلاصة القول في سورة الفلق أن تسميتها جامعة لعديد من المعاني تشترك في صفة أساسية هي هذا الانشقاق عن الآخر، وهذا ما يزيد المتلقي ثبات بأن كل شيء مفلوق عن غيره إلا رب الفلق فهو واحد أحد فرد صمد كما سبق وأن قررت هذه الحقيقة سورة الإخلاص ، تعود ثانية مع سورة الفلق تؤكد الأمر بشكل آخر.

فحق لمن فلق عن غيره أن يلوذ بحمى ربه الفالق لكل شيء . فالقرآن إذن كتاب التوحيد يعرض حقيقة هذا المعنى بتفصيل وشرح دقائق الأمور فيه سواء بالأمر أو النهي أو الترغيب و الترهيب ، وكل سورة من القرآن الكريم إلا وتحمل هذا المعنى بشكل أو بآخر فإما تؤسس وتبني كسورة البقرة وإما ترسخ المعاني كسورة الإخلاص ، أو تنبه و تحذر كسورتي الفلق و الناس.

يمكننا الآن أن نمثل هذه الدلالات و المعاني التي توصلنا إليها و طبيعة العلاقة الرابطة بينها على المربع السيميائي بالشكل التالي :



[1] - عبد السلام أحمد الراغب : مرجع سابق ، ص 134 .

المتلقي (أنت) تضاد شر الخلق(خارجي)

الرب الفالق لكل شيء هو العالم بمنبع الخطر فيما خلق لذا يبسط رحمتـ ـه على عبده داعيا له أن يلجأ إلى حماه ، فالعلاقة هنا في انسجـام بين الرب الرحيـ ـم و عبـ ـ ـده (المتلقي) الضعيف ، وهي في تضاد مع الفلق لأنه مصدر خطر في الوقت الذي تمثل الحماية الربانية كنف الأمن و النجاة من كل شر فهي بالتالي في تناقض مع كل شر يتهدد المتلقي من محيطه الخارجي ، وعليه فهذا الأخير يتشاكل مع الفلق لأنه مصدره ، ويشكل هو الآخر علاقة تناقض مع المتلقي لأنه الخطـ ـر الذي يهدده وقد يقطع طريقه في الوصول إلى ا .

2-2-3- **سورة النـ ـاس**:

لفظة الناس **في** اللغة هي جمع ، مفرده إنسان و الإنسان من الأنس والأنس من **الإيناس** وهو الإبصار و نقول ما يؤنسه أي ما يجعله ذا أنس . و قيل الإنس إنس لأنهم يؤنسون

أي يبصرون كما قيل للجن جن لأنهم لا يؤنسون أي لا يبصرون . فسمي الإنسيون لأنهم يرون ، وسمي الجن جنا لأنهم مجتنون من رؤية الناس أي متوارون[1] .

فالناس اسم جامد يدل على الكائن البشري وسمي بهذا لميزة أساسية وهي إيناس الواحد من الناس بغيره ، و هذا يبين ضرورة الاجتماع البشري حتى تطيب الحياة و تتيسر المعيشة . وهذا المعنى هو الذي سيوضح مصدر الوسوسة التي يحذر منها المولى جلا و عز في هذه السورة ، فلو عاش الإنسان بمفرده لما وجدت دواعي الظنون و الوسوسة التـي تفرزها طبيعـة العلاقـات الإنسانيـة لـذا كانت بداية إصـلاح القلـوب بعضا من العزلة .

فتسمية الناس تحمل من البدء هذه الوسوسة التي سيتعوذ من شرها ، وقد تبين لنا ذلك عند الوقوف على تجليات الأصوات المشكلة لتسمية السورة ، فالوسوسة تفوح ريحها من صوت السين خاصة وقد ظل يتكرر مرات عدة في متن السورة .

إذن فالوسوسة مصدر شر آخر يقف في طريق التوحيد يوجب هو الآخر الاستعاذة مثلما رأينا في سورة الفلق ، حتى يسلم الإنسان من كل شر يهدده فيصفو له القلب وتشف له الروح ، فيقبل على ربه و هو على يقين أن السلامة في حماه لا في حمى غيره .

لذا كانت سورة الناس خير ختام لكتاب ا الذي افتتح بالفاتحة ، فاتحة كل خير، وفاتحة الحمد والثناء على المولى جلا وعلا ، وهي فاتحة للعبد الذي علم أن الهدى في إتباع صراط ربه المستقيم حيث عباد ا الموحدين الراضي عنهم رب العالمين . تبعتها بعد ذلك سورة البقرة وما استوقفتنا عنده من معاني التوحيد تلتها عشر سور بعد المائة ، من سور تنوعت التسمية فيها لم تسمح طبيعة البحث الوقوف على دراستها- لما تتطلبه من جهد يتجاوزنا كباحثين نخطو أولى خطوات البحث – وإن كانت النظرة العامة لها تلحقها في بساطة تسميتها بالسور التي دارسناها . وبهذا فهي قريبة من المجال المعرفي و الفكري لأي متلقي بإمكانه فهم اللغة العربية

ما نلحظه في سورة الناس مقارنة بسورة الفلق أن المولى تبارك وتعالى لم يكتفي في هذه السورة بذكر ربوبيته لخلقه بل أضاف لذلك أنه الملك ، وإن كان هناك تقارب في المفهوم

---

[1] - ابن منظور : مرجع سابق ، ج 1 ، ص 118 .

بين الرب والملك إلا أن الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف و التربية ، والملك للقهر و الاستيلاء و إظهار العدل ألزم ، وكان الرب قد لا يكون ملكا فلا يكون كامل التصرف ، اقتضت البلاغة تقديم الأول و إتباعه الثاني للإشارة أنه له كامل التصرف ونفوذ القدرة و تمام السلطان و إليه المفزع و المستعان والمستغاث و الملجئ والملاذ ، و لما كان ملك لا يكون إلها و جعلت غاية في البيان ، إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم و ملكهم لم يشركه في ذلك ، فكذلك هو وحده إلهاهم لا يشركه إلهيته أحد[1].

هذا التنامي في الخطاب من خلال تعدد صفات المولى جلا و علا تبقى لفظة الناس لصيقة بها تأكيدا على أنه رب وملك وإله على الناس طواعية أو كراهية .

فسورة الناس كأنها تكملة لسورة الفلق ، فالأخير استعاذة من الشر الخارجي مهما كان مصدره وما تبعها استعاذة من شر مصدره داخلي و هو الإنسان ذاته .

ومن البقرة إلى المعوذتين تكتمل الصورة التي ينبغي للإنسان أن يكون عليها ، لم ترسمها له وحدها ما تضمنته السور من معاني ، بل جسدتها له تسميتها أيضا لتلتصق بالذاكرة فتبقى عالقة بها حين تتوقف القراءة أو تغيب الكلمات ستجيش الخواطر بمدها وجزرها كلما نظرت من حولها ترى في كل الخلق موعظة لها بل إن العظة تنطلق من ذاتها حين تستعيذ من شر الوسوسة .

ويمكن وضع العلاقات الدلائلية لسورة الناس على المربع السيميائي بالشكل التالي :

الرب - الملك - الإله تضاد الوسوسة

(الحماية) (جنة - الناس)

---

[1] - البقاعي : مرجع سابق ، ج 8 ، ص 612

- -

المتلقي تضاد شر داخلي

حماية الرب في تشاكل مع عبده (المتلقي) الذي دعاه إلى حماه ليدفع عنه شر الوسوسة مهما كان مصدرها (جنة أو الناس)، لذا فالحماية في تناقض تام مع الوسوسة ، وفي تضاد مع الشر لأن الرب ، الملك ،الإله لا يأتي منه إلا الخير وقادر على دفع الشر ، أما الوسوسة فتنسجم مع الشر لأنها محركه وسبب بواعثه والشر هنا مصدره داخلي وهو الإنسان ذاته على غرار ما كان من شر خارجي في سورة الفلق.

وهي بهذا أي الوسوسة تتناقض مع الرب و الملك و الإله الرحيم فالخير بين يديه مطلق تعالى أن ينسب إليه سوء . و عليه فالمتلقي بحاجة إلى ربه فهو إذن في علاقة انسجام مع خالقه ، إذا كان يريد الهداية و الحمـاية لأنها خطر سيفسد عليه إيمانه ويمنعه من الوصول إلى ربه .

2 – 3 – **المستوى التداولي للمعـوذات**:

لكثرة ما ورد من فضل المعوذات وما تحمله معانيها أصبحت ورد المسلم يردده في كل حين خاصة حين تضيق به الأنفاس أو تهدده الأخطار، لا لشيء سوى لأن المولى جلا

وعلا هو من دعا عبده الضعيف لحماه ، كي يستكين قلبه و تهدأ جوارحه فلا يأنس إلا بربه ، ولا يلجئ إلا إليه .

فالسور الثلاث في مستواها التداولي خطاب مباشر صريح لأنه صادر من الرب القاهر والملك العليم والإله الرحيم ، آمرا عبده باللجوء إليه دون واسطة أو تأخير ، بل هي السرعة في قوله تعالى : (**قل أعوذ**) فالمتلقي للخطاب بمجرد أن يتلفظ الكلمات فقد تحققت الاستعاذة لأنه قد قال : (**أعوذ برب**) بعد أن تبين له حقيقة هذا الرب الرحيم في سورة الإخلاص بما يدعو حقا للجوء إلى حماه لأنه ا الصمد الواحد الأحد .

فتسمية سورة الإخلاص بهذا المصدر الذي يتضمن معنى الصفاء من أي شائبة و كذلك يجب أن يكون قلب المسلم خال من أي شرك خفي أو ظهر ، مدعاة لاستجابة المتلقي من الوهلة الأولى لما تشع به التسمية من دلالات .

فتسمية السورتين بالفلق والناس مدعاة للتدبر في حقيقة وجود الإنسان وعلاقته بغيره جاء الخطاب فيها بصيغة المفرد مبينا أن التغير ينطلق من ذات الإنسان لا من واقعه في الوقت الذي كان الخطاب في بداية سورة البقرة و نهايتها جماعي ، دلالة على الهدى الذي يحمله الخطاب القرآنـي للمؤمنين كافـة ، أما التغير فمبـدأه و منتهاه الفرد إذا أراد لنفسه السعادة .

فكلمة الفلق والناس توحي بالشر الذي قد يتهدد الإنسان من الوهلة الأولى فهي تبث معانيها مبينة لكل أنواع الضرر على اختلافها، داعية لتحصن من ذلك من خلال الفعل أعوذ . فبالإضافة إلى معناه في اللجوء و الاحتماء با سبحانه و اللياذ بجانبه و كنفه ، توحي بما يفعله السحرة من تعويذات" وطلاسم" فجاء القرآن ليركز على مفهوم التعويذة ، باللفظ المختار الدال على ذلك ، مع الاختلاف في دلالته ومعانيه . فكأنه يدعو إلى التخلي عن تعويذة الخرافة و السحر ، والتمسك بالتعويذة الحقيقية ، المتمثلة في الربوبية المطلقة للكون والحياة والإنسان[1].

الفلق والناس ثنائية تمثل الوجود والبشر ترتبت في القرآن الكريم متتالية تكمل بعضها البض، فالوجود سابق على الناس أوجده الرب الملك الإله وجعله فضاء واسعا يحتوي

[1] - عبد السلام أحمد الراغب : مرجع سابق ، ص 141 – 142 .

هذا الإنسان ، لذا فالخالق وحده عالم بحقيقة ما يحيط بالناس من خيرا كان أو شر ، فكانت هذه الثنائية لتدل على ذلك ، جعلت ختاما لكتاب ا ، لا لتطوي الصفحات على آخر ما كان ينبغي أن يقال وإنما لتفتح أفقا جديدا يدعو المتلقي لتأمل ذاته والكون.

وإذ ما تحيله التسمية على النص ، يكتشف العالم من حوله وما يخفيه له ، ويتبين كوامن ذاته وما تمثله من مركز سلطة داخلية وحدها من تستطيع تسير الأمور إذا عرفت الطريق الصحيح فلاذت إلى الخالق العليم تأتمر بما أمرها فتسمع و تطيع لا أن تسمع وتعصي ، فلها الخسران المبين .

فالتسمية هنا تبث في المتلقي عظمة ربه فهو رب الفلق و رب الناس أجمعين ، فلا يوجد حينها ما يدعو للخوف ، بل إنها دعوة للتحرر من كل أشكال العبودية لغير ا سواء كانت عبادة البشر،أو عبادة الإنسان ذاته فيبقى أسير شهواته ظنا منه أنه حر فيما يفعل .

فالفلق والناس قوى، الأولى خارجية والثانية داخلية، والقوة الداخلية أقوى من الخارجية حين تستمد قوتها من أعظم قوة على الإطلاق هي قوة ا القوي الجبار،عندها فقط ستزول كل المخاوف و تتغير كل الأشياء ، فيصبح بحق إنسان كما أراده بارئه ، لا حيوان يهيم في هذه الحياة . وهذا ما يحيلنا على تسمية سورة البقرة وهي السورة التي ستفتتح بها القراءة من جديد إذما انتهت القراءة عند سورة الناس .

إنه الانسجام التام بين تسمية أسماء سور القرآن الكريم . كأنها تقول : كي لا تعيش حيوان في هذا الوجود أيها الإنسان ، اعرف خالقك ، وإليه استمع وأطع ، لتنعم بمنحة الحياة باللجوء إلى حماه .

الخلاصـــة:

كانت الجولة قصيرة لأنها اقتصرت على دراسة أربعة سور من مجموع أربع عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم ، ولكن مع قصر الرحلة تركت بصمتها في إعادة فهمنا للنص القرآني وربط تسمية سوره بمتنها لتكشف عن دفائن وكنوز مطمورة قد نكون

توصلنا للبعض منها وتفلت البعض منها لنقص الخبرة و قلة القدرة ، غير أننا نأمل أن هذا لا يبخس حق هذا الجهد المتواضع و ما توصل إليه من نتائج سنأتي عليها مجملة في خاتمة البحث . و نكتفي الآن بذكر بعض ما توصلنا إليه في المقاربة السيميائية لكل من سورة البقرة و الإخلاص و الفلق والناس :

بدا النص القرآني على تعدد سوره كأنه سورة واحدة غايتها توضيح حقيقة التوحيد تضافرت التسمية فيها مع متن السور في إبراز هذه الحقيقة وتمكينها من النفس .

كما انسجم النص القرآني من أول سورة إلى آخرها ، كذلك كانت التسمية لسوره هي الأخرى منسجمة متناغمة تتنامى مكملة لمعاني بعضها البعض .

تمظهرت التسمية في سورة البقرة بشكل الرمز الذي استوجب البحث عن دلالاته من خلال تقصي تشكله في الحياة السوسيوثقافية ، في الوقت الذي كانت دلالات التسمية واضحة من المعاني اللغوية للتسمية ذاتها في سورتي الفلق والناس تحتاج لشيء من التدبر والتأمل .

خاتمـة:

توزعت فكرة البحث على ثلاثة فصول ، خصصنا الفصل الأول منها للتعريف بمنهج الدراسة وإجراءاته، والفصل الثاني بتقديم المدونة و ما حظيت به من الدراسة قديما وحديثا ، وبهذا اكتمل تصورنا للجانب النظري ، وأدرجنا الفصل الثالث من هذا البحث

للجانب التطبيقي ، تناولنا فيه تطبيق المنهج على المدونة في بعض من نماذجها . والآن أصبـح بإمكـاننا عرض ما توصلنـا إليـه من نتائـج على المستويين النظري والتطبيقي فيما يلي :

المستوى النظري:

- إن المقاربة السيميائية لأسماء سور القرآن الكريم لا يزال ميدان بكر يحتاج لباحثين مهتمين بهذا المجال من أجل استثمار مستجدات البحث اللغوي في فهم النص القرآني من خلال أسماء سوره وما تحيله على نصها. والكشف عن خصائص التسمية و ما تفرد به الخطاب الإلهي عن الخطاب البشرى . بخاصة و نحن نعلم أن الدراسات القرآنية انصبت كلها حول النص مولية ظهرها للتسمية .
- انطلاقا مما تقدم عرضه في الفصل الأول و الثاني نخاص إلى أنه لا يوجد ما يمنع من المقاربة اللسانية السيميائية لأسماء السور، فهي بمثابة العناوين على نصوصها، لما تحمله من مقاصـد ودلالات السـورة تسمـح لها أن تصبـح نصا موازيا، له نظامه الدلالي الرامز،ويتميز ببنيته السطحية و مستواه العميق مثل النص تماما.
- مع أن التسمية في القران الكريم تأخذ شكل المركب الإضافي إلا أن هذه الإضافة تفقد دورها حين تعجز عن تعريف وتحديد ما جاءت لتعريفه. فنحن إذ نقول سورة البقرة لم يكن باستطاعتنا أن نحدد المفهوم أو نستنتج شيئا ما غير أن هذه السورة سميت " البقرة". وبالتالي تصبح التسمية من الناحية الدلالية عبارة عن وحدة لغوية واحدة .
- تبين لنا من خلال الدراسة النظرية أن التسمية في القرآن الكريم لم تكن اعتباطية أو لوجود مناسبة ما أو تكرارا للفظ كما اعتادت العرب أن تفعل ذلك ؛ بل تأخذ شكلا أكثر تعقيدا مما تبدو عليه في بساطتها ، حيث تدعو الباحثين للوقوف على هذه العتبات الهامة لفهم النص القرآني من مختلف جوانبه.
- تنوعت التسمية في القران ولم تنطلق من مبدأ الإغراء والغرابة بل كانت تطبعها البساطة التي تدعو إلى التساؤل كيف يكون اسم سورة حيوان (البقرة) أو حشرة (النمل) كما نجدها عبارة عن حرف (ص) .
- وقد غلبت أسماء يوم القيامة وما تحيل عليه على جانب التسمية ، هذا ما وصلنا إليه من خلال دراستنا للحقول الدلالية لأسماء سور القرآن الكريم ، و ذلك لغياب عالم

الغيب عن الخلق بالموازاة مع عالم الشهادة الطاغي على حياتهم ، فهو مما يحلو للكثير تكذيبه لعجز حواسهم عن معرفته ، فكان هذا التذكير المستمر.

- استغنت أسماء سور القرآن الكريم عن بعض وظائف العنوان لخصوصيتها ، كوظيفة الإغراء والتجنيس . وتقبل بالبعض الآخر كوظيفة الإحالة والوظيفة الإيحائية . وإذا ما نظرنا إلى أسمـاء السور كعناوين فرعية للنص القرآنـي فإنـها ستستجيب لوظيفة التخصيص .

المستوى التطبيقي :

- لا تعتمد أسماء السور في مستوى الأيقوني على الجانب التيبوغرافي لإغراء المتلقي أو الاستحواذ علية ، فهي لا تحتاج ذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية وجبت قراءته طاعة . كما أن القرآن نزل وحيا لا مكتوبا ومنه ليس بالإمكان النظر في الجانب التيبوغرافي كعلامة قد تفضي بشيء ما يفتح أفق التأويل على النص ، و إن كان الشكل الأيقوني بوجه عام يوحي بتميز و انفراد القرآن الكريم عن غيره من الكتب في هذا المضمار ، فلا شبيه له حتى في هذا الجانب .
- تستحيل التسمية في القران الكريم في كثير من الأحيان إلى رموز لا نستطيع فك دلالاتها إلا من خلال سياقها السوسيوثقافي مثلما وجدناه في سورة البقرة .
- إن البقرة علامة لها درجة من الخصوصية تخرجها من وظيفتها الأولى والأساسية وهي تميز هذا الحيوان عن غيره إلى وظيفة دلالية تصبح فيها رمزا يحيل على دلالات مختلفة وبهذا تنتفي الوظيفة الأولى إلى صالح الوظيفة الثانية .
- نجد أن اسم السورة هو المحور الذي كانت تدور في فلكه كل المعاني ، وهو القطب الذي تجمعت حوله كل الدلالات . فسورة البقرة انطلقت من ثنائية محورية وهي (الغيب والشهادة) وما توجبه من اعتقاد ، إذا ما تحقق عند المتلقي فلابد أن يتولد عنها الثنائية الثانية (السمع والطاعة) وهي الوجه الثاني لرمزية (البقرة) لأنها تحيل على أهلها الذين أبوا إلا السمع والعصيان . لنخلص أن سورة البقرة هي سورة التوحيد ، وحينها ينكشف الغطاء عن سر هذه التسمية وتظهر العلاقة المتبادلة بين الاسم والسورة ، فلا عجب الآن أن تسمى أطول سور القرآن باسم هذا الحيوان ، لا

لكونه معجزة وحسب ، وإنما لما تضمنه من دلالات و إيحاءات سعت في تجسيد حقيقة التوحيد أو لنقل حقيقة الإسلام.

- فضلا عن كونها عنوانا فاضحا لحقيقة اليهود وطبيعة علاقتهم بالدين الجديد الإسلام ، ومنه فهي تفسر واقع الصراع العربي اليهودي .
- افتقرت تسمية البقرة في إحالة معانيها اللغوية على دلالات النص لدرجة يصعب فيها إيجاد العلاقة بين الاسم و السورة ، في الوقت الذي ساهمت وبشكل كبير المعاني اللغوية لسور(الإخلاص والفلق والناس) في تعرية دلالة السور فقد كانت التسمية كنص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره و أبعاده.
- بدأت التسمية في القرآن الكريم باسم حيوان هو البقرة " و ختمت باسم " الناس" التي مفردها إنسان ، مشكلة بذلك ثنائية متضادة تكشف حقيقة الحياة حين يكفر الإنسان بالغيب و يصر على السمع و العصيان فهو يحيا حيوانيته التي لن يتحرر منها إلا إذا عاد إلى ا لائذا بحماه.فمن "البقرة " إلى " الناس" رسائل كثيرة تنوعت عناوينها تنقل الإنسان نقلة نوعية من الحيوانية التي تمثلها البقرة إلى إنسانيته المتمثلة في"الناس" .
- بدا النص القرآني على تعدد سوره كأنه سورة واحدة غايتها توضيح حقيقة الإيمان تضافرت التسمية فيها مع متن السور في إبراز هذه الحقيقة و تمكينها من النفس . كما انسجم النص القرآني من أول سورة إلى آخرها مثلما قال بذلك العلماء ، كذلك كانت التسمية هي الأخرى منسجمة متناغمة مكملة لمعاني بعضها البعض وإن لم نوفق في دراستـها لنصـل إلى هذه النتيجة فإننا لمسـنا مؤشرات ذلك على مستـوى الأسمـاء المدروسة .

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم برواية ورش.

1 - ألرت ڤان زويست : التأويل و العلامتية ، ترجمة : منذر عياشي : العلامتية و علم النص – نصوص مترجمة ، المركز الثقافي العربي ، المغرب - لبنان ، ط 1 ، 2004 .

2- إبراهيم الأبياري: تأريخ القران ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، دار الكتاب اللبناني لبنان،ط3 ،1991 .

3- ابن كثير ، أبي الفداء: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر ، لبنان ،ج1 ،2006 .
4- ابن منظور،أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب ، صادر للطباعة والنشر ، لبنان ط1 ،ج4.
5- أحمدأبوزيد:التناسب البياني في القران ، كلية الآداب بالرباط ،المغرب،1992.
6 - أحمد عبد الجواد : و الأسماء الحسنى فادعوه بها ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 2001 .
7- أحمد الشرباصي : موسوعة له الأسماء الحسنى، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1981.
8 - أحمد يوسف :الدلالات المفتوحة-مقاربة السيمائية في فلسفة العلامة – منشورات الاختلاف، الجزائر،ط 1 ، 2005 .
9- أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة- المنطق السيميائي وجبر العلامة – منشورات الجزائر،ط1، 2005 .
10 - البخاري ، أبو عبد ا بن إسماعيل : صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي لبنان ،م 2 ، دت .
11- البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن : نظم الدررفي تناسب الآيات و السور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 2006 .
12- الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت .
13- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد ا : البرهان في علوم القران ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، لبنان ،ط3 ، 1980.
14 - الزمخشري ،أبي القاسم محمد بن عمر :الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مكتبة مصر ، شرحه وضبطه : يوسف الحمادي ،مكتبة مصر،مصر ، دت.
15- السيوطي ، جلال الدين :أسرار ترتيب القرآن ، تحقيق :عبد القادر أحمد عطا ،دار السلامة ، تونس،1983 .

16- السيوطي، جلال الدين : الإتقان في علوم القران ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، لبنان ، ج3، 1988، .
17 – الطيب بودربالة : قراءة في كتاب " سيمياء العنوان " محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء و النص الأدبي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002 .
18 - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : جواهر القرآن و درره ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 2 ، 2005 .
19 - القشيري ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 3 ، م 3 ، 2006 .
20- المحل جلال الدين و السيوطي جلال الدين : تفسير الجيلالين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2، 2006.
21- أمبرتوإيكو:العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة : سعيد بن كراد ، المركز الثقافي العربي ، المغرب- لبنان، ط1، 2007 .
22- آن إينو: تاريخ السيميائية ، ترجمة : رشيد بن مالك ، منشورات مخبر الترجمة و المصطلح ، دار الآفاق ، الجزائر ، د ت .
23 - بريجيته بارتشت : مناهج علم اللغة – من هارمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختارللنشر و التوزيع،القاهرة ، ط 1 ، 2004 .
24- بسام قطوس :سيمياء العنوان ، وزارة الثقافة ، الأردن، ط1 ،2001.
25-جوزيف كورتيس :مدخل إلى السيمائية السردية والخطابية ، ترجمة :جمال حضري منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ،2007.
26- جوليا كريستيفا : علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال ،المغرب ، ط2 .1997
27- حسين يوسف حربوش :التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية ، جامعة اليرموك ،الأردن،1991 .
28- حنون مبارك : دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر ،المغرب،ط1 ،1987.

29- رامان سلدن:النظرية الأدبية المعاصرة ، ترجمة : جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر ، مصر ،1989.
30- رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة الجزائر، 1997.
31- روبرت شولز : سيمياء النص الشعري ، ترجمة : سعيد الغانمي ، اللغة و الخطاب الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، 1993 .
32- رولان بارت : المغامرة السيمولوجية ، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دارتيمل للطباعة والنشر ، مراكش ،ط1 ،1993 .
33- رولان بارت : مبادئ في علم الأدلة ترجمة : محمد البكري ، الدار البيضــاء 1986 .
34 - رومان ياكوبسون : الاتجاهات الأساسية في اللغة ، ترجمة : علي حاكم صالح و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، لبنان – المغرب ، ط 1 ، 2002 .
35- سامح الرواشدة : منازل الحكاية - دراسة في الرواية العربية – دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ،2006.
36- سعيد بن كراد : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، منشورات الزمن ، المغرب، 2003 .
37- سعيد بن كراد : السيميائيات والتأويل – مدخل للسميائيات بورس – المركز الثقافي العربي، المغرب لبنان ،ط1 ،2005.
38 - سعيد قحطاني بن علي بن وهف : شرح أسماء ا الحسنى في ضوء الكتاب و السنة ، دار الإمام مالك للكتاب ، الجزائر ، 2001 .
39- سيزا قاسم: القارئ والنص ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ،2002 .
40- سيد قطب : في ظلال القران ، دار الشروق ، لبنان ، ط 11 ، مجلد1، د ت.
41- شهاب الدين أبي القياس ابن يوسف : الدر المصون في علوم القران المكـنون دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ،ج1 .
42- صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، دار الأفاق العربية، مصر،د ت .

43 - عبد الحق بلعابد ، عتبات – جيرار جينيت من النص إلى المناص ، الدار العربية للعلوم الناشرون– منشورات الاختلاف ، لبنان ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 .

44- عبد السلام أحمد الراغب : الدراسة الأدبية – النظرية والتطبيق ، نصوص قرآنية ، دار القلم العربي ، دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، ط1 ،2005.

45- عبد اللطيف محفوظ ، آليات إنتاج النص الروائي – نحو تصور سيميائي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، لبنان ،ط 1 ، 2008 .

46- عبد ا إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ،ط3 ،1996 .

47 - عبد ا محمد الغذامي : تشريح النص – مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة – المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ،ط 2 ، 2006 .

48-عبد المالك مرتاض : نظام الخطاب القرآني – تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان – دار هومة ، الجزائر.

49- عبد المجيد نوسي : التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، شركة النشر والتوزيع – المدارس – المغرب،ط1، 2002 .

50- عمارة ناصر : اللغة والتأويل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1، 2007 .

51- عمرو خالد : خواطر قرآنية ،الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ط1 ،2004.

52 - فارح مسرحي : الحداثة في فكر محمد أريكون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم –ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، 2006 .

53- فيردينان دي سوسير : محاضرات في الألسنية العامة ،ترجمة ،يوسف غازي المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1986 .

54 - فيصل الأحمر:السيميائية الشعرية ، جمعية الإمتاع و المؤانسة ، الجزائر، 2006 .

55 - قدورعبدا ثاني: سيميائية الصورة – مغامرة سيميائية في أشهر الإرسالات البصرية في العالم ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، بغداد ، 2004 .

56- لويس معلوف : المنجد في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، ط 18 ، د ت

57- مايكل ريفاتير : دلائليات الشعر ، ترجمة: محمد معتصم ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ،ط1، 1997 .

58 - محمد خطابي : لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص – المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ،ط2، 2006 .
59- محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، دار النفائس ، الأردن، ط2، 2004 .
60- محمد عبد العظيم الزقاني : مناهل العرفان في علوم القران ، دار الكتب العلمية لبنان ، ج1.
61- محمد عدة دروزه: القرآن المجيد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ،دت.
62 - محمد علي الصابوني : إيجاز البيان في سور القرآن ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 2001 .
63- محمد شبل الكومي : المذاهب الحديثة –مدخل فلسفي- الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،2004.
64- محمد فكري الجزار : العنوان والسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1998 .
65- محمد مفتاح : دينامية النص –تنظير وانجاز ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ،ط 3 ، 2006 .
66- محمود السعران : علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ،ملتزم الطبع و النشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1987 .
67– مطاع الصفدي : استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية،مركز الإنماء القومي ، لبنان ، ط1 ، 1986 .
68- ميشال أريفيه وآخرون : السيميائية أصولها وقواعدها ، ترجمة : رشيد بن مالك منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2002 .
69– ميشال فوكو : حفريات المعرفة ، ترجمة محمد معتصم ، منشورات كلية الآدب و العلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1 ، 2005 .
70- ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 2000 .
71– نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص –دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، المغرب –لبنان ، ط6 ، 2005 .

72 - نواري سعودي أبو زيد : الدليل النظري في علم الدلالة ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007 .

الفهـــــــــــــرس

2 – **الفصـــل الثاني: أسمـــاء السور في الدراسات القرآنية**

الفصـــل الثالث : المقاربة السيميائية لسورة البقرة والمعوذات